lovers stories

حِكَايَاتُ الْعُشَّاقِ

أشرف بيدس



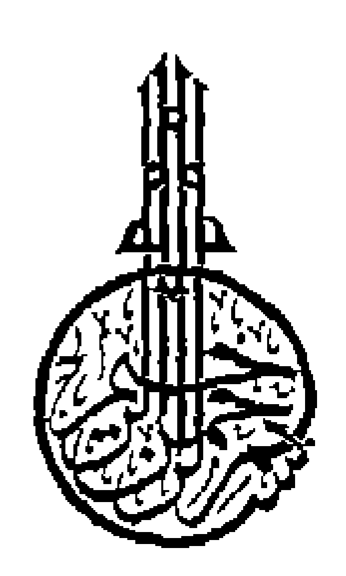
المجموعة الدولية
للنشر والتوزيع

حكايات العشاق

تأليف

أشـــرف بيـــدس





العنــــوان: حكايات العشاق

المـــؤلـــف: أشـــرف بيـــدس

إشراف عام: نجـــلاء قاســـم

الناشــــر



25 امتداد ولي العهد حدائق القبة
تليفون: 24517300 - 01271919100
emil: samanasher@yahoo.com

التوزيـــع

المجموعة الدوليـة
للنشـــر والتـــوزيـــع

80 ش طومان باي - الزيتون - القاهرة
تليفون. 24518068 - 01099998240
emil. aldawleah_group1@yahoo.com

تصميم الغلاف: إيمان صلاح

إخراج داخلي: معتز حسنين

الترقيم الدولي: 978-977-6451-39-1
رقم الإيداع: 23591 / 2013
الطبعة الثانية: يناير 2015



إلى العمة فوزية عيسوى

التي علمتنى

كيف أحب الحياة

أشرف بيدس

لـكل منـا قصـة، اكتملت فصولهـا، أو شـاء القدر ألا تكتمل، سعيدة كانت أم تعيسة، تحاول هذه الحكايات أن ترصدها بأمانة وموضوعية وبلسان أبطالها دون افتئات أو مبالغة، وأظن أنني لم أستطع رصد كل الحالات، فهناك ما كان جديرا بالحكي، ولم تسعفني الظروف أو الابطال الحقيقيين لسرده، لكني راعيت أن أسطر تجارب ما توافر لدي ممن تذوقوا العسـل أو تجرعوا المرارة كل حسـب مقتضيات حكايته.

ورغـم أن الكلمـات أحيانـا تسـاعدنا علـي عـودة الايـام لذاكرتهـا الأولـي، يظل الشـعور باللحظـة الفائتة واستدعائها، غاية صعبة المنال، فما فات قد فات.

الغريب أن القصص التي لم تكتب لها نهايات سـعيدة ظلـت هـي الأروج والأشـهر علي مـر الزمـان، وتناقلتها الألسـن بكثير من المبالغة في بعض الأحيان، إلا أن ذلك لـم ينفي أن هنـاك من أخلصـوا للحب وقاتلـوا من أجله فنعموا به.

بقـى أن اقـدم اعتذاري لكل الذين أفشـيت أسـرارهم وكتبـت حكايتهم دون إذن مسـبق منهـم، وقد راعيت ألا أرمـز إليهم بعلامات أو إشـارات حتي لا يفتضح أمرهم، وعزائـي أنني قصـدت تخليدهـم أكثر من التشـهير بهم، فلولاهم ما كانت هذه الحكايات.

أخيرا.. ليس كل العشـاق سـعداء، بل أغلبهم عاشوا أيامـا حزينة ولحظات مريـرة، ومنهم من دفـع حياته ثمنا لهـذا الحب، فإلـي كل المعذبين والمعذبـات أقدم إليهم هذه الحكايات التي أتمني أن تكون قد ارتقت لمشاعرهم النبيلة وتضحياتهم الكبيرة، علها تكون عوضا ولو ضئيلا لما لحق بهم.

أشــرف بيـدس

(1)

شهريار يحكى

كانت حبيبتي مثل زهرة البنفسج ترتعد إذا ما داعبتها نزوات النسيم، تستقبل كل صباح الشمس لتضع القرنفل على خدها الارجواني المشتعل.. وتتكحل الأزهار من نور عيونها. ويحاول القمر التلصص عليها ليلا حتي يسطو علي بعض من ضياءها فيزداد بهاءا ونورا.. حبيبتي عندما تفتح فمها ينطلق الفل والياسمين والريحان ليبدأ الربيع دورته.. وعندما تبكى تسقط الأمطار من السماء فيغرق من حولها.. وعندما تضحك تتبسم البراعم واليارات والعصافير.. كانت حبيبتي تملك قلباً يستوعب كل أخطاء البشر وحماقاتهم.. فتحت الكتب التاريخ والأساطير لتروي قصتها علي ألسنة العاشقين، ودون شهرزاد لا معني لكل حكايات الحب التي تناقلت عبر السنوات والحقب.

كنا نلتقي هناك بعيدا، فيما وراء الأشجار والعمران والبشر، في عمق المسافات الشاسعة، والخلاء المترامي الاطراف، عندما كانت الرمال اختراع لم يكتشف وسر من اسرار الحياة.. والشواطئ جزر نائية لم تطأها أقدام ولم تراها عين.. كتبت أسامينا على صفحة المياه الناقية.. وتحاملت الأمواج على نفسها حتي لا تمحى حرفا من حروفنا، وبدا

الكون لنا وحدنا نمرح ونلهو فيه كيفما شئنا، وعندما تفشي سرنا وصار مشاع، هرول العاشقين إلينا، وأصبح النزول للبحر عادة، اعتادوا عليها للتيمن ببقاء الحب مدى الحياة..

حبيبني.. تسـافر أحلامك فى أيامى، تنساب وتتسلل وتحتل الواقع والخيال، تنتقى الأيام الخضراء، وتطرد كل الكوابيس الحزينة.. تغسـل حياتـي مـن كل سـوءاتها وتشـفيني مـن رغباتـي الآثمة.. نجـرى على الشـاطئ، حتـي نرهـق الرمال، نطـوف يمينا ويسـار، نقطع المسـافات الطويلة ذهابا وايابا دون أن نشعر بالتعب، وبعد ذلك تبدأ رحلة السباحة فـي قاع المحيـط، نعيـش الطفولة بـكل فوضيتها.. لا أحـد يرصدنا أو يتحسـس خطانـا.. وعندمـا نطفو إلى السـطح حيـث الرمـال الناعمة، ورذاذ الماء يتسـاقط على شـفاتينا، نذوب فيه ويذوب فينا.. ونرتشـف من النشوة لحظات الخلود.

كان يخيـل لي أن حلول صباح جديد علينا سـيفقدنا جزء من نشـوة اللقـاء وشـهوة الحكاية، بعدما اعتدنـا علي المكان بكل مـا يحمله من وهـج، ويأتي اليوم التالي أكثر ألقا من ذي قبل، وتزداد حكاية شـهرزاد عنفـوان وطزاجة وقـدرات هائلة علـي بعث الاندهاش والشـغف. كنا ندشـن للعشـاق كل يوم قصة جديدة.. تتلي كلمات لـم تنطق من قبل، وأحاسـيس لم تحس، وتواصل عبقري للاكتمـال والانصهار والتوحد في مشـاهد عاطفية اسـتثنائية خارج نطاق حدود البشـر، تدوم الشمس ولا تغيب، تتحرج أن تمضى فى حضرتك، وتخشـي أن يفوتها تفصيلة مـن هـذا العـرس الخرافـي.. يلتف حولنـا النـورس يؤذن فـى المكان ويشـيع البهجـة والألفة والتراحـم بين سـائر الكائنات التـي تتوافد مع انسـياب رائحـة الأزهار المنتشـرة بوفرة.. ويقـف القمر حزينـا منتظرا

بالساعات راغبا في المشاركة، وعندما ينتابه القلق، تتحرج الشمس وتبدأ في الرحيل ليهل علينا بصحبة نجومه المتلألأة وكأنها مصابيح نور تسرد الطمأنينة والونس.. لم تنته حكايتي بعد يا شهرزاد، مازال بالبستان زهور لم يرها أحد من قبل.. بدرت فى الأرض لك وحدك.. ولا يعلم أحد عنها شيئا، وأن عيناكى هى أول من تراها.. ويداك أول من يحتضنها ويتحسسها.. فبدلا من أن تتنسمى ريحقها يتسلل هو إليك كى يستزيد بك.. ستظل حكايتك زادا يجتره العاشقون عندما تفيض مشاعرهم.

(2)

عاشق كل العصور

لـم أفاجأ بكلماتك الحالمة السابحة.. الملتهبة بحرارة الشـمس.. الدافئـة بنور القمـر، الحانية مثل ضحك الأطفال ونقـاء قلوبهم، بل لن أكـون مغـرورة إذا قلت أننى كتبتهـا معك.. أمليتهـا عليك، وحرضتك على البوح بها.. فقد عايشت الاسطورة معك، وشاركت في تفاصيلها، ورسمنا سـويا ملامحها بالمشـاعر والكلمات.. كنت أعلم أنك أفضل العاشـقين.. لكـن الزمان البخيـل لم يعطـك الفرصة الحقيقيـة للتعبير عـن إمكاناتـك الهائلـة وقدراتـك الخرافيـة، كان الامتحـان فقيرا جدا ومتواضعـا، لـم يرتـق لمشـاعرك الفياضة التـي تسـكب كل صباح فى مياه النهر زرقته ولمعانه وصفائه.. وتلون الفراشـات، وتثمر الأشجار، وتعزف موسـيقي تسـتمد منها الطيور أنغامها، كما أنها تمنح البائسـين فرصة أخرى للتعاطى مع الحياة ونسيان الجروح الغائرة فى صدورهم.

ظلمـك التاريخ يا شـهريار ولم تأخذ حقوقـك الكاملة، لم ينصفك أحـد، صادفـك نسـاء بائسـات غير ملهمـات، استفدن من شـهرتك، وعبئن السـحر من عينيك دون حدود وكيفما شئن، وكنت كريما معهن لحد السـخاء، وعندمـا خرجن من مملكتك بسـبب برودتهن وكشـف

اطماعهـن، رددن الحكايـات الكاذبـة والملفقـة بأنـك تقطـع رقابهـن وتستبيح دمائهـن، ولأن هنـاك رجـال يغـارون منك أشـاعوها في البر والبحر والجو بغية القصاص، وعاقبوك علي أن النسـاء اللائي افترشـن الأرض تحت اقدامك اعتزلوا العشق، فلم يجدن من يعوضهن عن تلك الأيام التي عشـهن في قصرك، ولم يمسـهن رجل آخر، فكانت تهمتك الحقيقية أنك كشـف عن دون قصد سـوءات الرجال ونواقصهم، بينما النسـاء، كل النسـاء حتي من طردن يعشـقونك ويفتتون بك، فأنت أول الرجال وآخرهم.

الحـب هـو الكلمة السـحرية التي تفتـت الصخر، وتذيـب الجليد، وتضيـق المسـافات.. الحـب هـو الـذى يحمـل نسـمات الربيـع لكل المعذبيـن والصابريـن والأملين فى غـد جميل تظللـه رياحين الأمل.. الحب هو الذى يبدل الأشـياء ويغيرها.. يجعل الدنيا لها أشكال أخرى غيـر تلك التـي اعتدنا عليها.. ولأنك كل هذه المعاني الجميلة، فأن أي علاقـة لا تكـون أنت الطـرف الثاني فيهـا تبقي وهما وخرافـة، فدونك تفقد الحكايات غوايتها وسلاسـتها، ولـم يعد بها شيئا يذكر فأنت نشوة المعانـي واكتمـال التفاصيل.. وأنـت أصل الأشـياء ومنتهاها.. فعندك يبدأ العاشقون الحكى وعندك ينتهى الكلام.

يزحـف صباحى علـى عتبة أيامـك، يترجى إذن ببداية يـوم جديد.. وعندمـا تشـرق فيه عيناك، يبدو وضاحا مشمسـا عفيـا وجميلا.. فرفقا أنـت بـي، وكن بخيلا فـي عطائـك.. لم أعـد أحتمل كل هذا العشـق، فككت اللجام عن كلماتي حتي طافت فى سـمائك تحدث العاشـقون عما حل بها.. خرجت الحروف من القمقم الذى ظلت حبيسة به قرون مـن الزمـان، وأصبح مـن الصعب عليهـا الرجوع مرة أخرى، تنسـمت

مـن عبيـرك وتفتحت فـى وجنتيك، وذابـت فى ربوعك، وانتشـت من سـحر شـفتيك.. فكيف أطلـب منهـا الرجـوع والغرق مـرة أخرى فى محيط أحزاني.. كانت أشـعارى قبلك مكسورة القوافى لا وزن لها ولا قيمة.. لكنك جعلتها تسـتعيد بكارتها ونضارتها وجسـارتها.. ترتشف مـن النهر حبـات اللؤلؤ، وتحلق فى السـماء حاملة النجـوم لترصع بها تـاج مملكتك.. كانت أبياتـي قبلك خارج الخدمـة والحدود والمنطق والعقـل، والآن أصبحـت أغانـى للعاشـقين والحالميـن بقصيدة حب خالـدة. فهل ارتقت لغتي المتواضعة لتقترب من عرشـك يا أميري..أم مازالت هناك عبارات لم يخطها قلمى..

(3)

ليلة زفاف

الليلة ستزفين لرجل آخر، يمنحك الحب والسعادة، وتضعين تحت حذاءه كل كبريائك وكرامتك، ستلقين بنفسك في أحضانه وتمرحين عبر أنفاسه وتنهداته وتتوسلين المتعة، ربما ترقصين حتي الصباح علي اشلاء عشقك القديم وتدفعين قدميك يمينا ويسارا في احشائي علي أنغام تلك الموسيقي الرخيصة التي تجيدين الترنح عليها، وتقدمين إليه كل ما لذ وطاب، وتغنين أغنياتك الهابطة التي تدغدغ مشاعره وتقوي من عزيمته لمعركة يحتاج فيها للتركيز، وسأتحول أنا بكل ذكرياتي إلي علاقة محرمة ومشبوهة، أو بقايا من سنوات ضياع تشتاقين لانتزاعها من دفتر أيامك.

أعلم أن وقت الكلام قد فات.. لكنها هلاوس الصدمة وشطحات قارورة الخمر التي احتسيتها من بدايات النهار حتي لحظة البشارة والتي ستنقلك من العذرية إلي قفص الحريم.. عشمت نفسى بنهايات ترتقى إلى التقدير أو التمثيل المشرف، ولكنك كنت الأسرع في ضربة الغدر، ظنا منك أن الفرصة قد لا تأتي إليك ثانية.. وجاء هروبك المفاجئ لتجنب المواجهة والمكاشفة وتبرير الرحيل المشروط، وكان يكفي أن

تصارحيني برغبتك لأرتب لك نهاية مشـرفة تليق بعلاقتنا، فخضوعك مع أول اشـارة من أول رجل تلتقيه صدفة بالطريق العام أمرا ينقص من شـأنك، ويسـبب لي حرجـا وألم، ليـس لفقدانك التي اشـتهيته، ولكن لأنـه يدلـل علي أننـي اختـرت أحط بنـات حـواء، كان عليـك التمهل قليلا ليس للتفكير، فقرارك ولهاثك كان منطقيا يتفق وطباعك السـيئة، ولكن لادعاء الاسـتغناء، فحتي بنات الليـل يأخذون وقتا في التفاوض والمساومة.

لـم يكن غضباً منك، فهذا شـرف لا تسـتحقينه وينقص من شـأني، فافعالك تنزع عنها صفة الطهارة، وحزني وحيرتي سببهما قصر تفكيرك وانحدار أغراضك، وتسرعك الذي افقدك نهاية محترمة لعلاقة متدنية، ولكـن ما المدهش في هـذه النهاية التي تتفق وتنسـجم مع كل طباعك الشهوانية والشريرة، فليس مطروحا في الخيال أرقي من ذلك.

سـتنقضي ليلتـك علي أية حـال، فبعـد أن تلم سـوادها واحمرارها وصراخاتها وتشـبعين غرائزك الجائعة، وينطفئ وهج الشهوة المشتعل داخلك، سيشـرق صبـاح جديد عليك، وعندها ابـدأي صفحة جديدة، وأيـاك أن تمارسـي عاداتك القديمة علي العاشـق الجديـد الذي لازال يسـبح في العسـل الحلو، فأكاذيبك مكشـوفة وسـاذجة، لا تنطلي علي طفـل صغيـر، وأن كنت بالماضـي اغريتك بنقاءها، فذلـك كان حرصا مني عليك، كنت أعلم أن حمرة وجهك ليست انكسارا أو خجلا، وانما نوع رخيص من المكياج يباع علي ارصفة الحواري التي كنت تسـكنين في إحدى بناياتها.

نصيحتي الأخيرة أن تنزعي كل الاقنعة التي ترتديها فهي لا تفلح في اخفاء ملامحك، وتجعلك مسخة تثير الضحك والاشمئزاز، وأحذري

أن تمارســي معه ما كنت تمارسـيه معي، فغباءك لـن يحتمله رجل غبي غيـري، ادعوك مخلصا أن تتخلصي مـن كل صفاتك وطباعك الكئيبة، وأن تحاولي أن تعيشـي حياة جديدة بلا كذب أو تمثيل، فأدائك سوقي جـدا ومكشـوف، أرجو الا تفهمـي كلامي خطأ فلا اقصـد التحقير من شـأنك، ولكنـي أكثر الناس رغبة فـي دوام علاقتك واسـتقرارها، حتي لا تلقـي بك مقاديرك مرة أخري في طريقي، فيشـفق قلبي عليك وأحن لتلك الأيام القديمة.

(4)

المخمور

ليس علي المخمور حرج، فهل فرغت من الخمر حتي تستوعب كلماتي؟ أم مازلت تقع تحت شطحات الترنح وعدم الاتزان، الشرب هي عادتك الأثرة التي حرصت علي ممارساتها بانتظام ودأب شديدين، وهذا ما جعلك أغلب الوقت خارج سياق الاحترام، تتجرع الخمر لتتوه في عالمك الافتراضي، وعندما يذهب مفعوله تعيد الكرة مرة أخري، وهكذا كنت وستظل في حالة غياب متواصل، لكن ما أدهشني هي قدرتك علي كتابة رسالة متسقة من ناحية الشكل، أما المضمون فذلك ما نحتاج أن نتكلم فيه قليلا..

تخيلت أن زفافي سيرفع عن كاهلك عبئا كبيرا وخطيئة نجحت في الفرار منها بقائمة طويلة من الأعذار منعتك من تصحيح ما فعله الخمر في ليلة سوداء تشبه قلبك الدامي، نعم وضعت كبريائي تحت حذاء من منحني شرف الانتساب إليه ورد لي كرامتي التي نهشتها غريزتك وشهوتك الحيوانية، وأحسست بالفخر والامتنان الشديد، ورقصنا حتي الصباح، معا، رقصنا حتي الصباح معا فلم يتركني وحدي، حتي

الرقص يشاركني فيه، انه رجل من طراز فريد يصعب علي أمثالك الاقتراب منهم.

تقول عشمت نفسك بنهاية مشرفة، كيف؟ أن أذهب إليك اترجي العفو والسماح، واتوسل لتمنحني موافقتك علي استرداد كرامتي المهدرة، أو أن امنحك ليلة محمومة غارقة في الوحل تستعيد فيها رجولتك المفقودة، ألم تشبع يا شهريار من الف ليلة وليلة، أعلم أن مأساتك الكبري هي أنك رجلا لا تتكامل فحولته إلا من خلالي، لأنني أدرك جيدا نواقصك التي تمنعك شجاعتك من البوح بها، لكني امرأة تصلح لكل زمان ومكان. فلم أعد استعمل الآن مكياجا رخيصا، فقد نسيت أنك كنت من تحضره لي، ولكنها الخمر لعنها الله.

لن تنقضي ليلة حبي، فليلتي طويلة جدا وممتدة حتي نهايات العمر، وليس لدي أقنعة اتخفي وراءها، فقناعي القبيح نزعته وألقيت به في سلة المهملات، حتي عندما فاق من غفلته راح يمطرني بكلمات عن العفة والشرف والطهارة، وهو أبعد ما يكون عن حرف من حروفها، فأهدأ أنت وحاول التماسك، وعندما تفشل عليك بقارورة خمر أخري تذهب بما تبقي من عقلك، وتغيب وعيك السابح في الخيلاء والأوهام.

اطمئنك ستستمر حياتي طالما أنت لست فيها، وحاول أن تستوعب ما سألقيه عليك الآن، ربما ينفجر رأسك عندما تقرأه، اكتب إليك هذه المرثية الأخيرة وأنا أنعم بأنفاس حبيبي وتنهداته، حتي عندما يعجز قلمي عن الكتابة وأجد حرجا في الاستمرار، يسرع حبيبي ويلقي علي بالعبارات والجمل، ولأنه رجل نادر في زمن يزدحم بأنصاف الرجال من أمثالك، لم أخف عنه تفصيلة أو شاردة، اخبرته بكل شيء، فسامحني وأكثر من ذلك.

انتهت القصة الفاشـلة الخائبة بغير رجعة، وللأسف لم تكن البطل، فأنـت مجـرد محطة التقـي عليهـا الابطـال الفعليين، يمكنـك الآن أن تشرب أكثر وأكثر حتي يتسمم جلدك وينقضي أجلك، وأعدك أن تنزل تترات النهاية عليك ممسـكا بالكأس وأن تلفظ أنفاسـك الآخيرة، بينما أنا وحبيبي في قبلة ليسـت أخيرة لا ينطفئ فيها وهج العشـق المشتعل، حتي يشرق علينا صباح جديد انت ليس فيه.

(5)

بيت لحم

الليلة شـديدة البرودة.. يصفر الريح فى نوافذى وفى أيامى الفائتة.. يوقـظ الذكريـات التي ظننـت أنها دفنـت بأعماقى بعدمـا توالت عليها السـنين، وكثرت التجـارب والمحن، وها هى تعود الآن بغير اسـتئذان تقلـق نومـى، وتحـرك تلـك الاحاسيس الخامـدة الراكـدة، تداعبنـى وتدغدغنـى، وتشـطرنى مـرة أخـرى نصفين، تفتـح صناديق الاسـرار التـي حرصت أن اخفيهـا.. وتعود الذكريات القديمـة حاملة معها عبق الماضى وآلامه، عندما تكاثـر الثلج الأبيض واحتل الأركان والزوايا.. وتراكـم فوق الأرصفة السـاكنة، حتي بدا الأسـفلت المبلل المضئ فى العتمـة وكأنـه قطع من الماس غسـلتها الأمطـار.. اتذكر تلـك الليلة.. ليلة عيد الميلاد.. حينما كنا نتصعلك أنا وأنت فى شـوارع «بيت لحم» العتيقة ونكتب قصة عشق لم تكتمل..

عندمـا تقتـرب ليلة عيـد الميلاد،.. تقتـرب معها أوجاعـى المخبأة فى صدري.. وتقفـز الصور والأحداث أمام عيني..تروى ما حدث من جديد.. فى الليلة الأخيرة للقائنا الأخير.. كل شيء يحضر فجأة.. كانت زيارتـي الأولـى للوطـن الجريح، وتشـابكت داخلـى كل المتناقضات

الحلـوة والمرة من سـخط على الظلم، وشـغف بالمعرفـة.. ثورة على حـال المعذبيـن، وتأمـل لعبقرية المـكان وناسـه الرائعيـن، وحالة من فقدان الوعى كانت تنتابنى وتنقشع بالاقتراب من تلك الوجوه الحانية، وكلماتـك العاتبة عندما تلاقت العيون لأول مرة : «زيارتك قصيرة جدا ويجـب عليك الاسـتفادة من الوقت المتبقى، وسـأبدأ انـا باصطحابك باكـرا حتي تتعـرف على وطنـك الجميل ويتضاعف حزنك عن اشـياء تعرفها لا تشـعر بها فقط». ورغـم شعورى بالاحراج وسط الجمع الذى كان يحيط بنا ، إلا أنني أحسسـت حينها أن عيناكى التي كانت تلاحقنى من بدايات السهرة أبت ألا تدع الفرصة تمضى دون أن تحتوينى فى يوم بكامله، هكذا كان اعترافك لى فيما بعد.

لـم انعـم فى تلـك الليلـة بنوم هـادئ وظللت حتـي الصبـاح انتظر قدومك، وتداعت الاسئلة المحيرة، من تكون؟ ولماذا اقتحمتنى بتلك الصـورة، واشـرقت الشـمس، وتخيلت أن يومى سـيكون يومـا عاديا، بصحبة فتاة عاديـة فى اجواء غير اعتيادية، وخابت كل ظنوني.. تجولنا بالصباح فى «رام الله» واشـترينا معطفين أحمرين، وبعضا من الزهور، وقصدنـا مكانـا نائيـا على مشـارف مدينـة «البيرة» نحتسـى فيـه القهوة ونفسـح المجال لمشـاعر صادفتهـا الزحمة وبراحة الوقـت، ثم عرجنا إلى صديقتك «...» قدمنا لها الزهور وتناولنا الغداء معها، وبعد حديث طويل لـم أتذكر منه شـيئا حيث كنت مشغول بالنظر إليك، وأنتي كذلك ظللت تتابعى انفاسـى المسـافرة إليك على غير العادة وبدون اسـتحياء من صديقتك، انصرفنا إلى «بيت لحم» للاحتفال بليلة الميلاد هناك، لم نعبأ كثيرا بسوء حالة الجو، قطعنا الشوارع الجانبية، حتي استقلينا سيارة أجرة.. وعندما وصلنا؛ تجولنا فى الشوارع الخالية، تكلمنا.. ضحكنا..

بكينا..جرينا..غنينا.. ورقصنا كثيرا على أنغام السكون ودقات قلوبنا..
اختزلنـا العمـر كله فى تلك السـاعات القليلة الشـحيحة، لم تكن هناك
عيون تراقبنا، أو أذان تسمعنا، أو أنفاس تلاحقنا، ورغم الزحام الشديد،
لـم يكن فى الشـارع غيرنـا، فقضينا ليلتنـا، أرهقنا الكلام ولـم يرهقنا،
حتي انتصف الليل علينا وأسـدل سـتره وطمأنينته ولفنا بدفء مشاعرنا
فارتشـفنا الحب وذقنا حلاوتـه، وتواعدنا بوعود كثيرة ونسـينا المكان
والزمان.. ولم نتذكر شـيئا من الدنيا فى تلك الليلة الباردة التي لم تهدأ
فيها دقات قلوبنا، وظلت ذكراها تداعبنا كلما صفرت الريح فى النوافذ
المغلقة.

(6)

لـم تبق ألوان أخـرى

عشـت حياتي محرومة من شـيء اتباهـى به، اتندر به وسـط أقرانى وصديقاتـي.. أشـعر مـن خلاله أننى أملك شـيئا لا تملكـه الآخريات، حتـي ولـو كان يسـيرا وقليلا.. كنـت أرى فى عيون مـن حولى نظرات الشـفقة والمواسـاة التي كانت تعذبني.. خصوصا عندما كن يلقن علي حكايات عشـقهن السابحات الغارقات بها، تمنيت شيئا يغير من روتين حياتي ويجعل للأيـام أهمية ومعنى، لكنى حرمت حتي من ذلك، وفى مرات كثيرة كنت أقنع نفسى كذبا بأنه لا يضر إذا ادعيت كذبا بعضا ممن يملكه الآخرين، لكنى فشلت فى الكذب وفى الصدق.

كنـت أشـعر بأنني فى حاجة لقلـب يؤويني.. يضمنـى.. يحتويني.. عيـون تغدق على من الحنان والمـودة.. ولا تقمعنى عندما أرنو إليها.. كنـت فـى حاجـة إلي ظل عاشـق اتدثـر به مـن ليالـي الشـتاء الطويلة، ويكون نسـمتي الحالمة في قيظ الصيف الملتهـب.. ضنت علي الأيام بلحظـات اعتراف وتلاقى.. وكأن الشـرط الوحيد لبقائي في الحياة هو ألا أبـوح بقصـة حب أو أنعم بظلالها.. رغم أني لـم أكن انتوي التباهى

أو الاستعراض، تمنيت العشق ليكون لي عبادة سرية ألجأ إليها في لحظات انكساري فتشبعنى وترضيني..

تمنيت أن تكون لي حكاية أحكيها، حكاية واحدة ليست بالمعجزة، بطولة تبقي معي عندما يشتد بي السن وتتوالي السنوات، بعض من الذكريات القليلة احتمي بها من ويلات الوحدة، ولم أكن أمني نفسي بحدث جلل لا يتوافر للآخريات، حتي جاء يومنا المشهود، وأحسست أن الزمان يعوضني الحرمان الذي عشته، ولم اتمني أكثر من ذلك، وقد كان كثيرا جدا.. ولأننى كنت اترجى من الدنيا اليسير والقليل، جاء طوفانك ليهدم كل حدودى وسدودى حتي كدت أغرق فى بحرك السحيق حيث لا آخر له ولا نهاية.. وملكت ما جعلني أميرة للعاشقات.

فعندما تأتي ليلة عيد الميلاد يقترب معها ميلادي وتكويني وبعثي مرة جديدة للحياة، فأحرص علي تكرار ذكرياتنا بدقة شديدة، انتظر الليل أن ينصرم وأنا أراقب الريح التي تصفر في عمري وفي احشائي، وعندما تحل شمس البشارة علي نافذة ذكرياتي أقصد رام الله واتجول في تلك الأماكن التي شهدت صباحنا البعيد، وأحرص علي أن أشتري معطفين آخرين، ولأن سنين غيابك طالت وكثرت فقد اشتريت كل الألوان ولم يبق ألوان أخري، ثم تقتحمني رائحة الزهور في دكان المرأة العجوز لأصحب معي بعضا من الياسمين ونذهب سويا إلي «البيرة» -أنا والزهور- لارتشف فنجان القهوة بمفردي، بينما يتابع النادل ورواد المقهي نظراتهم لهذه البائسة في رحلتها السنوية كل عيد ميلاد، وتتوالي الاحداث المكررة بعد ذلك.

الذكريات ليست كافية لمواجهة الحياة، فهي تدمي العيون وتوجع القلوب، انا في حاجة إليك، شحت الشفقة من قلبك، وكنت احسبك

لين كأعواد النعناع، وتوهمت فى جرأة أحسد عليها بأن لى مكان ولو ضئيلا فى قلبك.. إن اللحظات الجميلة القليلة تترك آثارا لا تمحى وتذكرنا دائما بأن علينا أن نتعلم من الحياة ومفاجأتها. فهل ارتكبت الخطيئة الكبرى عندما أبحرت داخلك دون أن أتدبر أمرى، وهل كان لى من محاذير وشروط على اتباعها، أحتاج ليوم آخر اقل بهجة وجمالا، فقد صفرت الريح في نوافذي حتي اقتلعتها ، فلا تحرمني من رؤيتك لآخر مرة.

(7)

المثقوبة

أهنئى وتمتعى وامرحى، وابلغى الشمس أن شئتي، واقبضى على القمر لـو طالت إليه يـداك، واعبثى بالنجوم والفلك، ونصبى نفسـك ملكة على الأرض والسـماء، فتلك هى أولى بـوادر الهذيان، أصدرى اوامرك للرعية وللخدم وللعشاق الوهميين الواقفين فى خيلائك، اضربى الأرض فينقشع الغبار ليسـكن فى عيون حسـادك وهم البشـر والحجر والشجر، وانطلقى حيث شاءت أقدامك فكل الفراغ مملكتك وكل الوجود سلطانك.

واضحكى من فِيه أكلت الميت والحى والبهتان والحوت، ونزعت سترة العـراة من أوراق التوت، واثقبى الحاجب والأذن والسـرة بالفضة والذهب واللآلـئ الـدرة.. فأنت الحـرة بنت الحرة، هل شـبعت أم ترغبيـن في مزيد مـن عظام الصغـار وأحلام الكبار، الـكل طوع الامر ينتظر القـرار، فنحن يا عزيزتي لم نشته من الدنيا اكثر من رؤيتك فى لحظات الانهيار والاحتضار.

لن اروى قصتك للآخرين، ولن أردد على مسامعهم سوءاتك وشرورك، فأفعالك شاهدة عليك، وأكاذيبك تفضحها عيونك، فكيف للحكمة أن تنطق من شـفاة أكلتها الغيرة وحللت الحرام وفضحت أسـرار القبيلة، اجمعى ما شـئتي من عطايا وهدايا وسـبايا، وارحلى بغير رجعة، لن يشبعك شيء ولن ترتوى أبداً، فالأرض البور لا تفلح بها صرخات الصبية الأجيرة.

تكشف وجهك القبيح يا بائسة، فلن تفلح عمليات التجميل والترقيع، ابحرى بعيدا بسفينتك وخدامك، وازدانى بالياقوت والمرجان والوحدة، انتهى بيننا وصال الود والرحمة، وابتاعى من الصين غشاءات بكارة فأنت يا من جاوزت الأربعين مازلت صبية عذراء تنتظر البشارة.

القى على التلاميذ دروسك المملة بانك الأميرة الجميلة، التي علمت فينوس الحكمة، وسابقت الريح وأغدقت على البائسين اليائسين بالستر والنعمة، وسنقسم نحن للتاريخ بأن قيس وروميو وشهريار ماتوا بالنقمة عندما حاولوا خطب ودك السامى وجاءهم الرفض بالصدمة.

أنت العظيمة ونحن الرعاع السفلة، وأنتِ الرحيمة الكريمة ونحن الغزاة القتلة، وأكثر من ذلك كثير، نحن من يسرق لبن الاطفال، وستر الهانئين، وشوار الصبايا، وصلاة المؤمنين، ونحن من يتسلل بالليل ليوقظ الحالمين، وينقض على تسابيح الضارعين، وإذا ما انكشف أمرنا وافتضح سرنا، جاء عفوك ينتشلنا من الظلمة الى النور، فأنت أولى بالتسبيح والتكبير والتعظيم وشهادات الزور.

انت الصبا والجمال والجاه والمال والانهار والجبال، والوديان والتلال وكل شيء وأى شيء، العز والوفرة.. الحلوة النضرة.. الزهرة والخضرة، الشقراء والسمرة، البهجة والفرحة، ونبصم على ذلك بالعشرة والعشرين والختمة، فأمنحينا أغلي أمانينا واتركينا، ولا تقص علينا بطولاتك، فكل الاشياء محتملة إلا حكاياتك الضحلة، فنحن اذا كنا نبدى رضوخنا وركوعنا خشية سطوتك، فأن كلماتك التي تشبه روث الإبل لا تنسجم مع كل ما يحيط بك من نعم، فأصمتي ولا تنطقى بتلك الأشياء حتي لا تثير فينا رغبة التقيؤ..

(8)

الأخرق

هالني كم الغل الذي سكن قلبك والقيته في كلمات مسمومة مبحوحة غير مترابطة في كثير من المواضع، وتعجبت كيف أحتملت كل هذا الحقد دون أن يطبق علي أنفاسك ويزهق روحك، واشهد لك أن قوة احتمالك تفوق ما كنت أتوقعه، شغلت نفسك بانتقاء الفاظ بذيئة ووقحة لتبدو وكأنك خارج اطارها، لكن نزولك لهذا المستنقع واستخدامك لها كشف عن براعتك وارتباطك الوثيق بمفرادتها وحروفها، فأنت منها، وهي منك.

كان عليك أن تسرد وقائع وأحداث ومواقف تبرر بها كل هذا الهجوم الضاري والعنيف، اما الولولة والنحيب فهي أمور أبعد ما تكون عن رجل يصف نفسه في تبجح وغرور بالمثالية، فأين المثالية في كل ما ذهبت إليه من افتراءات وتهم باطلة؟ بدأت باستعراض رخيص ومتداول وخلعت عليّ صفات وقدرات خارقة، ونصبتني ملكة تؤمر فتطاع، فكيف لملكة مثلي أن يخرج عن سلطانها صعلوكا مثلك؟ فمن أين جاءتك الجرأة وقد عهدت فيك الجبن والسلبية.

انت لا تملك الشجاعة لتروي شيئا من قصتنا، فأنت أجبن وأضعف من أن تسرد نواقصك الكثيرة التي يمنعني حيائي من سردها، اتحداك أن تحكي كيف كنت تأكل وتشرب وتلبس، ومن أين كانت تأتيك هذه الأموال، وكم مرة وقفت علي بابي منتظرا بالأيام والساعات ماددا يديك طلبا للمساعدة، وعندما كنت أحضر كنت تتلو علي آيات الاحترام والتقدير والتبجيل، وتقسم بأن القبلة التي تضعها علي يدي تمدك بالحياة.

انت رجل أخرق غير مسئول عن تصرفاته، تتحكم فيه نوازعه السفلي، يحلم بالطيران والتحليق وهو قعيد، تملك منه الغيظ والأنانية والطموح الذي ذهب بعقله، عندما تغضب تتصرف كالاطفال المهملين، تثور وتحطم كل ما تطوله يديك بغرض لفت الأنظار إليه، انما علي أرض الواقع فأن ممارساتك بائسة وفقيرة ومخيبة للامال، كان عليك أن تخجل قليلا من نفسك وأن تحترم حكايتنا، فلم يبق في تاريخك كله سواها، واسمح لي أن أقول لك أن ارتباطك بي ازاح عنك ويلات التسكع والتشرد والموت جوعا، وأحذر أن تأتي لي باكيا متوسلا، طالبا العفو والسماح، أو أن توسط بيننا الآخرين التي سوف تردد علي مسامعهم شروري وسوءاتي.. انت بائس جدا وتحتاج إلي العطف والاشفاق، نعم لست عذراء ولكنك خارج قبيلة الفحولة، فلما تقحم كلمات تكشف عن عجزك وقلة حيلتك.

يبدو أنك نسيت من أنا، ومن أنت، رغم كلماتك التي وضحت كثير من الأمور، لكن غبائك افقدك القدرة علي التمييز.. نعم أنا الملكة وأنت واحد من رعاياي المارقين الناكرين للجميل والمعروف، مجرد فرد من ملايين، فهل تريد أن تقاسمني الملك وأن تشاركني في المال

والجاه والأنهار والوديان والتلال؟! للأسف لست مؤهلا لامتلاك كوخ، انت حتي لا تستطيع أن توفر قوت يومك، أنا الجمال فكيف لي أن اعاشر القبح في أبشع صوره وأحقرها، وأنا الصبا، فقل بربك من أنت، وماذا قدمت يداك ليس للآخرين وأنما لنفسك، احصي خصائلك ولا تبخس حقك، قل للناس عن انجازاتك ونجاحاتك. لقد بدأت الحرب وأنت لا تملك من المقاومة شيئا سوي الدموع والتوسلات، فكن رجلا وتحمل لعناتي.

(9)

يوبيل الفراولة

عيد ميلاد سعيد.. تمر هذه الأيام الذكرى الخمسينية لميلادك (يوبيل جديد).. ومازلت بنت العشرين، أو هكذا تتوهمين..مضت السنين سريعة.. لكنك مازلت كما أنت تمضغين الهم بين فكيك.. وتلوكين السنين في يسر.. وتطلقين الضحكات يمينا ويسارا دون عناء.. لم تهزمك الأوجاع، ولم يتملك منك اليأس أو الخضوع، عجزت الأيام من أن تسطر خطوط الزمن على وجهك المتصابي.. لم تمل الكذب بعد، فهو زادك وهواؤك.. مازال قوامك الممشوق المشدود ينطلق في الريح، ويجتاز الحدود في خيلاء وعناد.. لم يرهقك الطريق، ولم تخشى لحظات النهاية.. فمازلت تقدمين أسوأ العروض الاستعراضية..

توقف التاريخ والزمن عند عمرك البلاستيكى المطاط؟ فهل مازلت العشرون شمعة يتوسطون كعكة الميلاد، مثلما كنت تفعلين من ثلاثون عاما؟.. وهل مدعويك هم أنفسهم الذين حضروا منذ زمنا عتيق.. أم تغيروا باختلاف الزمن؟.. وهل تحرصين على قبول الهدايا الثمينة الغالية؟.. أتذكر أن مصير زهورى التي كنت أهديها لك كان سلة

القمامة، فهى لا تساوى سوى بضع قروش، وهى لا تغرى للاحتفاظ بها.. فالهدايا عندك تعامل على قدر قيمتها، حتي الأحاسيس والمشاعر دائما كان لها ثمن.. كم من الوجوه تحملين؟..ألم تسأمى بعد من تأدية هذه الأدوار البائسة التي لم تصلح مع تقدم السن؟ هل لديك الكثير؟ ولماذا يبدأ حديثك دائما بعلامات الاستفهام؟ وينتهى بعلامات التعجب والسخرية!

استعيد الماضى وأتذكر كلماتك الأولي.. هل تذكرين أول لقاء؟ سوف أذكرك، أعلم أن هواياتك التي تحرصين عليها هى النسيان، تذكرين عندما أتيت مهرولة لاهثة ، شاعثة الشعر، حافية القدمين، تفرضين على نفسك، وتتوسلين ألا أتركك حتي لا تلجأى للانتحار، وأنك ترين الدنيا من خلالى، والحياة دونى تصبح مستحيلة و...و... هل تذكرين هذه الكلمات؟ هل كان يجب أن أسجل لك كل لفتاتك وهمساتك وكلماتك؟ ليس لدى عقدة نقص.. ولا أعانى من بعض الاضطرابات النفسية المزمنة، فلم أعرف العقاقير المهدئة إلا عندما عرفتك، واقتربت منك، وعاشرتك.. ربما تكون عقدة النقص الوحيدة فى حياتي هى أنت.. وقد حاولت مرارا التخلص منها، لولا حرصى ألا تفعلى شيئا مجنونا، وكانت خشيتي من هذه الأفعال هى التي تردنى لهذا العبث من جديد..

مازلت أمانيك محصورة فى كلمات الأعجاب المزيفة وعبارات الإطراء الغبية، ونظرات الموتورين التي تجعلك تزهى بنفسك، فأنت مازلت رغم كل هذه السنين تتأرجحين بين الكلمات المعسولة الخادعة ووهم الحكايات الملفقة، بعدما ضاع مذاق الفراولة الذي كان يتساقط

من شفتيك، واعترف أنني تجرعته مرارا واستطبت مذاقه السحري الذي كان يعيد لي صباي.

مازلت مرآتك ناصعة لامعة تضيف بريقا كاذبا على جمالك المتصابي.. وحتي لا يأتي وقت تعوى فيه كالذئاب فيخشى الناس الاقتراب منك أو الالتفاف تجاهك.. أسألك السكينة.. أسألك التأمل.. فالحياة أنقى وأرقى من أن نعيش فيها مغيبين عن واقعنا.. فأهدأى فى عامك الخمسين، ربما يكون العام الأخير من حياة امرأة بنصف قلب ونصف عقل.. ضحكت علي الدنيا حتي الثمالة وأخذت منها كل ما ارادته.

(10)

أيس كريم

هبت كلماتك وحطت في يدي، وأشكر لك مشاركتك الاحتفال بيوبيلي الفضي.. ولو أن كلمة (يوبيل) تناسب محطة وقود أو شركة تأمين.. لا تشغل بالك فالعناوين لا تعبر عن المضمون.. رغم مرور كل هذه السنوات مازلت تستخدم نفس الورق الذي كنت تخط عليه رسائلك، يبدو أن دفترك المعطل مملوء بالصفحات البيضاء، فهل اعتزلت الكتابة؟ أم اعتزلت العشق؟ مجرد ملاحظة عابرة ليس الغرض منها التهكم أو السخرية، فأنت في حاجة إلي رثاء وشفقة.

فتح خطابك حنين الذكريات الحلوة، هل تذكر «شبرا» وشارع الترعة، عندما كنا نحفظ الشوارع باسماء المحلات وبتفاصيلها الدقيقة، هناك من عاصروا قصة عشقنا غيبهم الموت، وآخرين أكلت السنين ذاكرتهم، وبعض قليل حي يرزق يحفظ كل تفاصيلها جيدا، عندما كنا نطلق الاحلام من أفواهنا، نقيم البيت ونربي الأولاد ونهرب الي البحر في حالات الاكتئاب، ونلقي بالقبلات الخفية، ونتلمس الايدي الملتهبة، كل ذلك كان يحدث ونحن نتصعلك علي فاترينات الدكاكين التي لم تشتري لي منها شيئا، نسيت أن تروي تفاصيل تلك الأيام،

ولماذا كنا نذهب تحديدا لميدان فيكتوريا، لا أظن أن ذاكرتك تعبت لهذا الحد ولكنك تحاشيت حتي التلميح، فلن أفصح حتي لا أسبب لك حرجا، وأتمني أن تكون تلك الاشياء التي اصطحبك لعلاجها هناك تعمل علي خير، وتظهر صورتك في صورة افضل.

تخيلت أنني سأتلقي معايدة رقيقة لطيفة بمناسبة عيد ميلادي، فقد عاهدت فيك اللياقة والذوق، وكانت رقتك تسبق تصرفاتك، فكيف تلوثت ايامك وطالها الزيف والكذب لهذا الحد؟ فوجئت بكلمات التهكم والسخرية من السطور الأولي، وأنت الذي جرعتني أول كلمات العشق، فما الذي يضرك إذا وضعت شمعة أو الف في كعكة ميلادي، ماذا فعلت بك السنين؟

نعم مازلت أضحك والهو وأمرح رغم معوقات الروماتويد والضغط، ولم يهزمني المرض أو تطول مني الكآبة والعجز.. أحاول أن ألون ايامي بما تبقي من عزيمة، وأن اجعل من وجهي الذي سطرت عليه خطوط الزمن انكساراتها ألا يفارقه الأمل.. لازال لدي رغبة أن أعيش ايامي المتبقية في سعادة دون أن أجرح أحد أو أسبب الضيق لمن حولي.. ولأن سنين عمري مطاطية قابلة للاختلاف.. فأن اصدقائي من كل الأعمار يحبونني وأحبهم، ويقدمون لي الهدايا التي تناسبني.. لا احمل إلا وجها واحدا جميلا بشوشا يختصر من عمري عشرون أو ثلاثون عاما، أم جسدي كما قلت ممشوق مشدود ينطلق في الريح ويجتاز كل الحدود برشاقة لاشك انك تفتقدها.. مهرولة.. شاعثة.. حافية، هذا وصفك لي.. فهل يعقل أن تنطبق هذه الصفات علي «امرأة تلوك السنين في يسر وتمضغ الهم بين فكيها، وتطلق الضحكات دون عناء»، ثم تضيف «هل مازلت أمانيك محصورة في كلمات الاعجاب»

أدركت الآن أنك ليس لديك عقدة نقص، ولا تعاني من الاضطرابات النفسية، انت يا عزيزي خارج اطار الحياة، ربما لم تجد في عزلتك القسرية شيئا يحرك السكون من حولك غير أن تصب علىّ مركبات النقص التي استفلحت داخلك.. خانك الذكاء الذي لم تتمتع به يوما، واستطعت بغباءك أن تشوه ايام جميلة مثلت الصفحات البيضاء في كتابك الأسود، عشمت نفسي بكلمات حلوة، ولم أحسبها باردة وماسخة مثل الايس كريم الذي كنت تحرص أن تشتريه رخيصا، وترغمني علي تناوله.

(11)

صندوق بريد

يتملكنى شـعور بالسعادة لا أسـتطيع وصفه حينما أرى فى صندوق بريدى رسـالة تحمل اسـمك.. يرقص قلبى فرحـا، ينتفض من مكانه.. يصـول ويجـول.. ويذهب بعيدا بعيـدا حيث بلاد الفراشـات والزهور الجميلـة يحتضنها يتنفـس عبيرها.. ويتلون بألوانها الجميلة.. أسـتعيد معها طفولتي ونقاء براءتها.. فرسـالة منك فـى صندوقى البريدى تعنى بـأن الحيـاة مازالت مسـتمرة ولم ينقضـى أجلها بعد، وأننـى قادر على التعايش مع الكائنات الأخري.

عندما أرى رسـالة منك فى صندوق بريدى، تبدأ حالة انعدام الوزن وفقـدان القـدرة على التحكـم بالكلام والسـمع والرؤيـة.. افقد جميع حواسى وكأنى خدرت وسلبت منى إرادتي.. وتعزف أنغام قلبى أعذب الألحان. أنسلخ من واقعى وابحر حيث لا شطآن ولا مرسى ولا شراع، أذوب فـى المياه المتدفقة، اصعد موجاتها، واهبط إلى المحيط، احاور الاعشـاب السـاكنة بالقاع وأشاكسها واغتسـل من كل ويلات الاحباط حتي أصير وكأن عهدى بالحياة يبدأ لتوه.

فكلماتك تعيد لشرايينى الدماء وتفتح أمامها سبل الجريان والتدفق فـي كل الاتجاهات دون عائق أو توقـف، وتنظم دقات قلبى الفوضوية التائهـة السـريعة والبطيئـة وتجعلهـا منضبطـة.. وترتب لغتـي الضائعة فـى عينيك وتلهمنى بقصائد العشـق.. فيتسـاقط منى الشـعر والحكمة والأقـوال المأثورة، عندما أرى رسـالة منك فى صندوق بريدى تشـرق شمسى وتلتهب ويتفضض قمرى ويضيء.. وتتلألأ النجوم فى سمائى الصافيـة، وتتلاقـى الفصول الأربعـة فى وقت واحد فـى حالة اعجازية غير متكررة، وغير منطقية.

تأتـي كلماتـك الترياقة لتداوى جـروح الزمن وانكسـاراته.. وتزيح همـوم الدنيا مـن فـوق كاهلـي.. وتفتت جبـال الملـح الجاثمـة على صدرى، وتفـرش تحت أقدامى الطرق الممهدة اليسيرة..تتسـلل برفق وانسـيابية إلى أعماقى، أن شـتتي الصدق فهى تعيـد تركيبى مرة أخرى حتي أصلح للتعامل الآدمي..

الآن آن أوان رحيلـى فـى رحلـة طويلة وشـاقة لعوالم أخـرى ربما أجـد فيها ما يمنحنـى القدرة على البقاء حيا.. فلـم أعد احتمل كل هذا الحب.. الآن أعلن على الملأ أننى مت عشقا وسحرا وهياما.. اغتالت نظراتك مقلتي واستباحت قلبـي.. وعرضت أحاسيسـى فى فاترينات المتيميـن.. الآن أعلـن دون خجـل أن كلماتـك أودت بحياتي ومثلت بجثتي أمام العابرين، ولم تأخذ بى أى شـفقة، اسـحقتنى وذوبتنى دون رحمة، وغالت فى العطاء وافرطت فى رومانسـيتها ورقتها.. اعترف أن كل رهاناتـي على المقاومـة والمواجهة انهارت بعدمـا تجاوزت الحد المسـموح لـكل المحاولات المقررة، وأن الشـجن المسـكون داخلى

يحرضنى على الرحيل والهروب من مصيدة حبك، فلم أعد احتمل كل هذا الحب.

أدمنتك..واستسلمت لهذا الموت اللذيذ.. يمكنك الآن التوقف عن إرسال خطابات إذا اردتي لى الحياة.. فاستمرارك يعنى نهايتي وحتفى، ما أجمل نهاياتي وما أروعها.. وما يحزننى أننى لن أرى رسائل لك فى صندوق بريدي.

(12)

العشق سرًّا

أيها الرائع القابع في القصر العالي البعيد فوق تل الأحلام.. أى كلمات التي تستطيع أن تخترق هذا القلب الجهنمى المتفرد وتستبيحه، أى العبارات التي تستطيع أن ترسم جزءا من الحقيقة، ومن تلك التي يمكنها أن تملك قلب بحجم قلبك الرقيق، اري أنك تبالغ كثيرا في وصف كلماتي التي يجانبها التوفيق في وصفك، فأنا لا يمكنني حتي التحديق إليك بكامل إرادتي.. من أى البلاد أتيت يا ملجأ الايام وملاذها، وأين كان هذا الحب المخزون داخلك.. ومن الذى قيده وحجمه كل هذه السنوات.. من أى العصور أتيت؟ يا رجل كل العصور.. لم تعد المياه الراكدة فى النهر تسترضى الخمول، أو السكون.. وقعت الواقعة، وتبدلت الدنيا، وخرج من القمقم المارد ليزلزلني.. ويفتت بي.. يعصرنى.. فتتساقط بقاياى لتصرخ بأنك منتهى طموحي..

الكتابة إليك ليست منحة، بل هي تكليف اجباري من قلبي وعقلي حتي يواصلان النبض والتفكير، ودونهما يتوقف كل شيء، وتصبح الحياة فراغ يعشش فيه الملل، معك تكتمل الاشياء الناقصة، فأنت

نقاط حروفي، وصندوق بريدك هو سفينة أحلامي التي اري من خلالها الدنيـا.. أحبـك، لأن حبك يمنحني الوجود ويرسـم صبـاح ايامي علي قرص الشـمس وعلي ضوء القمر، فالكتابة تعني أنني اتنفس وأتعايش، وعندمـا تكتشـف أن صندوقـك خاليا من الرسـائل، فمعنـي ذلك أنني ذهبت إلي العالم الآخر، فهل تريد خلاصي.

الكتابـة تجعلني أسـرق اللحظات الاسـتثنائية، وأطلـق من خلالها العبارات الملهمة التي لم أسـتطع ترديدها أمام الآخرين دون تعقب أو ملاحقة، فأنا أخشى من تلصصهم علي عيني الزائغة الباحثة عنك طوال الوقـت.. يتملكنـى الخوف عندما يخيل لى أن أحد الجالسـين سـوف ينقض على ليشـطرنى نصفيـن ويجد صورتك العالقة داخلى، أخشـى أن تفضحنـى عيناى.. التزم الصمت وأحاول السـكون.. لكن الصمت يفضحنى، فعندما تبادلني النظر.. أشـعر بأن السـماء ستسقط أمطارها، وستعلن الطبيعة عن ثورتها من هذا الحب الذى زلزل أرضها، وأغضب أمواج بحرها، وجعل الطيور فى حالة فوضى، وأسـقط كل كتب الشعر فى مستنقعات الحيرة.

هل تكفى كلمة أحبك؟ هل تسـتطيع أن تصف حالتي بصورة دقيقة وحقيقية.. أرى أنها لن تكفي.. ولكنى أعدك أن أكتب فيك كل كلمات الحب والعشـق، أعدك بأن أتلو عليك كلمات لم تقلها عاشقة من قبل، ولـم يسـمع بها ملـوك الأسـاطير.. أعدك أن اسـخر لك اللغـة والنحو والصـرف، حتي تتباهي بأنك أول عاشـق فى التاريـخ تطوع له حروف الهجـاء.. لكن اعطني وعدا أن يظل حبك بهـذا العنفوان وهذا التدفق، حتـي اسـتطع أن أداوم على العطـاء، أو أداوم على الحيـاة.. لن يعفيك

الترحـال مـن حبـي أينما كنت، وسأرسـل في بريدك كل سـاعة رسـالة تخبرك بأنني اعيش فقط من أجلك، أن بقاءك يعني بقاء كل العاشقين.

أصبحـت رغبتي في الاستمرار بالكتابة إليك خـارج نطاق التحكم والسـيطرة.. ظهر شـيطان الحب ولا أعرف كيف التخلص منه، أحكم قبضتـه وصرت أسيرة له، يبـدو الواقع أبدع وأجمل، أنـه التحليق دون أجنحـة.. والسـباحة دون عنـاء.. لكنـي أدمنت عشـقك سـرا، فهذا لا يجعل أحد يشاركني حبك.

(13)

أداء رخيص

فـى الحيـاة البشـر يموتـون، ولا يبقى سـوى حكاياتهم، كل شـيء يكتـب باليـوم والسـاعة بتفاصيلـه الحلوة والمـرة، لا شـيء يضيع فى الزحام، هكذا تقول الاسطورة القديمة، ليس هناك خاسر طوال الوقت، ولا رابـح على الـدوام، حتي تلك المسـلمات الثابتة فى أذهـان العامة تخضـع لتقييم أخير قد ينسـفها ويعيـد تغيير ملامحهـا بالكامل، فهناك كثيرون من الرابحون خاسـرين، وهناك ايضا خاسرون رابحين لو دققنا النظر، وهنـاك أيضا مغانم معنوية لا يبصرها الماديون، ولا يلتفت إليها المتسرعين في اصدار أحكامها دون تمعن وتؤدة.

تخيلـت فـى ذروة عشـقى المحمـوم، أن صباحـى لم يـأت دونك، وأن إشـراقة النهـار تتكحل من عينيك بعدما تظل منتظرة على شـرفتك حتي تأخذ اذن الخروج، وأن التكوين المحيط بى مصنوع من أنفاسـك وهمسـاتك.. تخيلـت أشـياء كثيـرة كشـفت الأيـام عـن عـدم صحتها ومعقوليتهـا، فالحيـاة تسـير ولا يوقفها شـيئا، لكن سـذاجتي المفرطة وقصـر نظرى اوهمـا لي عكس ذلك.. لسـت غاضبا لحـد الحنق، ولا

مشـفقا لحـد البلاهــة.. بل هى خيبة الأمـل وفقدان شـهية الانتصار فى عصرك المهزوم.

عانيتــي ما عانيتــه.. وتألمتي ما تألمته.. وتجرعتــي الحرمان مثلي.. طــال الليــل عليك.. انتظرتي الســاعات على شـرفة أيامـك.. كل ذلك حـدث لنـا، فأنا شـريك بالنصف في الشـهد وفي السـهد.. لكننا لسـنا متسـاوين بأى حال من الأحوال.. فضربة البدء الغبية كانت لك.. وهذا يفقدك كبرياء الخاسـرين ويحرمك من أى شـرف المحاولة الفاشـلة.. فلن يغسـل المـاء يديك ويمحـى عنها قطـرات الدماء العالقـة بها.. لا يكفى الندم لمحو الخطيئة المتعمدة..

كنـا فى حاجـة إلى جمل بسـيطة، وعبـارات رقيقة ننهى بـه الفصل الأخيـر مـن الحكاية الفاشـلة، لكن انزلاقـك أفقدنا التركيـز فى إيجاد مبررات زائفة وملفقة تجعلنا نرضى عن أنفسنا حتي على سبيل حفظ ماء الوجه أمام المحيطين والذين شـهدوا حكاياتنا من بداياتها، وخصوصا اننـا لم نترك فرصة ألا وتشـدقنا بطهر غايتنا ونقـاء علاقتنا الخرافية غير المتكررة، فجاء الاداء الاخير رخيصا ومتدنيا ليكشف كذبك وخداعك ويفضحنا أمام الجميع، فنتلقى على ذلك السـخرية والتشـفى وكلمات التهكـم التـي فاقـت كل الحـدود. أنصـب كل تفكيرك حول الخسـائر والمكاسب، واعتقدتي ما تملكينه يوفر لك بعض المكاسب، فما كانت تحوى يديك سـوى ريـح من بعض أنفاسـي.. أما أنا فكنـت أملك كل حروف الرثاء لوجهك الزائف والمرتبك..

خرجت أنا بتجربة فاشلة فقط، يمكن تعويضها فى مرات لاحقة، اما أنتي فقد شـوهت ملامحك، وفقدتي كل الفرص الممكنة ليس لتجربة أخـرى وأنمـا للعيش مـع أى كائـن كان، فأجمعـى حقائبـك وانطلقى

فـى عرض الصحـراء حيث الفـراغ الكبير الذى سـيحميك من نظرات الآخرين.

أتي الصباح الجميل دونـك.. وتفتحت الزهور دونك..وأشـرقت شمسـى دونك.. وانتشـى قلبى دونك.. يـا أكذوبة خيالـى.. الآن فقط استطيع أن أجزم بأن الحكاية غرقت فى قاع المحيط.. ألقيتها بنفسـى، الآن فقـط أعلـن أنـك غـدوت ذكـري.. مجـرد ذكـرى عابرة فـى أيام شـاردة.. وأسـفى على ما سـوف تلاقيه أنـت، فمازلـت احتفظ بمصل الوقاية وبأسرار النسيان.

(14)

احتضار الحب

اعترف بأن الأداء كان رخيصا، ربما لأن الحكاية من بدايتها كانت مستهلكة، بعدما فقدنا قدرتنا علي العطاء والتضحية وانكار الذات، وأصبحنا نتصيد الاخطاء لبعضنا البعض، وفي كثير من الأحيان كنا نختلق لأنفسنا اعذار وهمية لنبرر أفعالنا السخيفة تجاه بعضنا البعض، لن الجأ للدفاع عن نفسي بالصاق التهم الباطلة عليك كما فعلت، واعترف أن حالة الاحتضار التي نعيشها الآن نحن الاثنان شريكان اصيلان بها، أنت لأنك رجلا تقليديا يعشق النظام والروتين، ويفترض في نفسه قدرات وهمية، وأنا لأنني فشلت في مسايرة عاداتك المملة والمعايشة معها، وساعدتك كثيرا عندما جعلتك تصدق بأنك صاحب كرامات وذو كاريزما وشخصية آسرتين، رغم ان كل من جلس معك كان يشعر بالغثيان بعد مرور خمس دقائق علي الأكثر، وينتابه دوار شديد، وهذا يسجل لي رقما جديدا في الاحتمال.

أن أول طلقة تميت الحب هي الانانية، وللأسف كانت مساحتها كبيرة جدا في علاقتنا، اجتهدنا سويا في اختناقه فجاء احتضاره نتيجة طبيعية لتصلب شرايينه، ومنعنا بارادتنا وغبائنا عنه استنشاق هواء

صحي يمده بالاستمرار ويسمح له بالتجويد والتطوير، وهذا ما جعلنا نلفظ أنفاسنا الأخيرة في هذه الحكاية المستهلكة والمتوترة.. كثير من الحكايات تنتهي، وكثير من الحكايات تبدأ، فتلك ليست نهاية العالم، انفصالنا كان وشيكا لا عيب في ذلك، لكن العيب أن نستخدم الفاظ تؤذي مشاعرنا وترخص من أنفسنا، لابد أن نعترف بالواقع ليس في الامكان ابدع مما كان، وصلنا إلي مفترق طرق، وعلينا أن نعترج دروب مختلفة تواكب طموحاتنا التي كبتناها كل هذه السنوات، كما أن استمراري معك كل هذه الفترة يجعلني ادخل بسهولة كل الموسوعات العالمية واحتل بها مركز مرموقا.

المقدمات الباهتة تؤدى إلى نتائج فاشلة.. لم يكن بمقدورنا أن نخدع أنفسنا طوال الوقت.. أحيانا نضطر للكذب.. لكن احتراف الكذب فضيلة لم نتعلمها بعد.. حاولت أن أصحح أخطائى بطرق بدائية فلجأت إليك.. فتفاقمت أعبائى وطفح الكيل بها، ولكنك أيضا لم تساعدني في اجتيازها، وقررت أنها شأن خاص بي عليّ معالجته دون أن أسبب لك صداع، ورغم أن الأمر كان يحتاج إلي بتر كلي لجأت إلي المسكنات وعمليات التخدير المؤقتة قليلة المفعول.. ولم أكن أعلم أن الداء استشرى فى الجسد المنهك، وبات استئصاله مستحيلا.. وكان الهروب إليك هو الحبل الذى طوقت به عنقى وعجل بنهاياتي السريعة.

ليس ذنبك.. وليس أيضا ذنبي.. ربما تكون الصدفة التي جعلتنا نلجأ فى محاولة يائسة لمداواة الجروح بالتجاهل؛ مجرد مخدر يخفى وراءه مضاعفات أخري.. ولم نكن ندرى أن الأمور سوف تتفاقم لهذا الحد.. كنا نحتاج إلي فترة نقاهة، فسحة من الوقت نلتقط فيها الأنفاس،

ونعيـد حسـاباتنا جيـدا بعيـدا عـن أى مؤثـرات ربما كانـت أجدي من الصراخ الطفولي الذي مارسـناه، جانبك التوفيق في اسـتخدام كثير من الألفاظ الكبيرة التي لا تناسـب الأحداث، والمبالغة في وصف نفسـك بكل هذه المحسـنات البديعية، فلو كنت تملك نصفها ما وصلنا إلي ما نحن فيـه الآن! هنيئا لك بالصباح الجميل وبالزهور اليانعة وبالشـمس الحارقة والقمر والنجوم، لعلها تجعل قلبك ينتشـي اكثر واكثر، واحمد الله أنني غدوت ذكرى.

(15)

هـنـــادي

هنـادي.. الليلـة جميلة جدا، بلل الماء أرصفة الشـوارع الأسـفلتية ففضضـه.. وأمطرت السـماء أمنياتا وأحلاما للمعذبيـن والمحرومين، طافت البشـرى على الناس تدق أبوابهـم حاملة لهم الزغاريد والأخبار السـارة.. تقضـى حاجـة السـائل.. وتلبى نـداء المحتاجين.. وتمسـح الدمعـة مـن عيون البائسـين.. الليلة جميلـة صافية كصفـاء قلبك الذى علمنـى أن الحب تواصل إنسـانى ورغبـة فى الرضـا.. ومنحنى الحلم كلـه.. ولـم يقطر على بالفتـات.. وكان كريمـا لحد السـخاء.. فتوالت الكلمـات التـي كانت كحبات السـكر، أزالت من جوفـي طعم المرارة والحرمان. وبدلت ملامح الدنيا من الأبيض والأسود إلي ألوان طبيعية.

ضوء القمر الهادئ الحالم السابح يغمر السماء بالطمأنينة وينشر فى رحابة أصداء الحكايات القديمة.. ينسج بين النجوم أشعته التي تتلاقى وتتشـابك وتختلـط فتبرز من بيـن ثناياهـا وخطوطها ملامـح وجهك الملائكي.. تحرك مشـاعرى المشـلولة، وتدب فيهـا الحركة والحيوية من جديد.. وتبعث النضارة والبشاشـة والتأمل بعدما اكتسـت بالكسل

واليأس من أي جديد يطرأ عليها، فها هو البدن المعتل ينتفض ويرقص علي أنغام عشقك رقصة الخلود.

ينسلخ الليل من عينيك ليرتمى فى مقلتي، يسكرني.. يهزمني.. يسحقني.. أتوه فى سراديب حروفك.. وتتملكنى التأتأة والسأسأة والفأفأة.. أفقد وعيى.. لكنى لا أفقد عشقي.. ينقلب القارب بى فى عمق المحيط وتتوالي الكوارث تباعا، وعندما تواتينى ساعتي في الرحيل المبكر تتبدى لى عروس البحر لتعيد الأمل المستحيل.. ينشق البحر وتتلاشي المياه وتفسح سهلا اعجازيا، وتصطحبنى إلى جزيرتها البعيدة.. تطيبني.. تدملنى وتعصرنى، فنحتسى سويا حلاوة الدنيا.. تمنحني فرص جديدة للتجربة.. بعدما افقد شجاعتي وتنتاب الحيرة نفسي. من بين ثنايا الغروب تشرق شمسك، واعجز عن تفسير الاسئلة الكثيرة التي لا أجد لها اجابات.

تبدو الأشياء فى مواكب جماعية.. أرى الزهور تحتضن براعمها وتطوق الحياة بالياسمين والبنفسج.. لن أدع الشجاعة فقد حطمتي كل نواقيسى الناقصة وتماثيلى الهشة وتكشفت الحقيقة على ترانيم غنائك.. من أنا؟

من أنت؟.. ولماذا اكتمل نصف الدائرة فى حدقة عينيك.. واتسعت الدنيا؟

ومثلما كان مجيئك بغير ميعاد ودون ترتيبات استقبال، كان غيابك أيضا مفاجئا ومربكا لكل الحسابات التي اجتهدت في التوصل إليها، واستقر في يقيني أن مهمتك انتهت، وانني لن أراك مرة ثانية، وعندما أصل لقناعة بأنك طيف هلامي اخترعه خيال في لحظات انهياري، تظهرين مرة أخري لتزداد حالات الارباك والحيرة.

الليلة جميلة.. لكني لم أعد استمتع بها دونك...

(16)

ليلة حزينة

لم تعد الليلة أشبه بالبارحة.. فالليلة حزينة جدا، وساكنة، يطوف الصمت فى أرجائها ولا يسمع للضجيج صوت، سوى تلك الأنفاس اللاهثة وراء الترقب والرغبة فى إحداث شيء يبدل تلك الأجواء المحبطة، حتي النجوم خفتت ضياءها، وراحت تموج فى الفضاء الفسيح المظلم تستدر عطف المحبين والعاشقين.. دخان يتكاثف هنا وهناك يحجب الرؤية عن قمر آثر الانزواء من جرح كبريائه ما بين نظرة اللائمين وحسرة المحبين.

لا أعرف سببا لهذا الشعور الغريب الذى تملكنى وأحسسنى بالوحدة.. كنت أحسب نفسى قد تخلصت من كل هواجسى التي كانت تصحبنى في ليالي السهد.. انتظرتك ساعات قليلة لكنها مرت بصعوبة شديدة.. عانيت فيها وزادت أشجاني.. حتي صرت بهذه الحالة المتدنية.. ومما زاد من غضبى أننى ألححت عليك أن تأتي لتنشلني مما أنا فيه.. ربما كنت أشعر ببدايات حالة كئيبة تقترب مني.. وتصورت أن طلبى سوف يلبي.. لكن مرت الساعات البطيئة لتزيد حالتي كآبة، أحيانا أشعر بأنني مازلت طفلة تشتاق لرؤية قصر رملي

بنيتـه على احدى الشـواطئ فى اجـازة صيفية.... لـدى رغبة فى تأنيب نفسـى وتعنيفها فما كان على أن استسلم لهذا السقوط.. وأن أدع نفسى رهينـة لليلة يبتسـم فيها القمـر، وإذا ما غاب أو تأخـر تحولت إلي بقايا امرأة.

ليلتنـا شـاردة..ضائعة.. وتائهـة، تتسـع فيها المسـافات للشـكوى والنحيـب والبكاء.. لا مـكان للفارحين هنا، حيـث تضيق الأحلام فى صـدر الحالمين، ويصمت الكلام فى مواسـم العتاب، وتتحجر العيون فـى عيـد الدمـوع، وتبقى فـرص الرحمـة معدومة، ولحظـات العطف هلامية وغير محتملة، لـم يبق سوى الحسرة.. الحسرة فقط والندم، هما الكلمتـان المسـموح بتداولها دون رقابة أو وصايـة، فيما عدا ذلك غير مسموح، حتي تلك النظرات التي يملؤها الشجن والانكسار مرفوضة، أنهـا باختصـار ليلة الحسـاب الأخيـر.. فلا مـكان لتقديم التعـازي، او اطـلاق عبارات المواسـاة، فالكلام لا يفيد في مواسـم الموت.. انتهى المشوار.. وأوصدت كل الأبواب والنوافذ، ولـم يعد هناك ثقب لمرور أى بصيص من أمل.

تغمرنـي نوبـات من اليـأس لا أعـرف لها سـببا، وشـعور بالانهزام والانكسـار وقلـة الحيلـة، تبخـرت كل محـاولات البقاء، وترسـخت لدي قناعة بأننى منافسـة ينقصها الكثير من المران حتي تستعيد توازنها المفقـود.. وأشـهد بأننى كنـت أعيش وهما لم أفق منـه، الآن ارفع راية الاستسـلام..معترفة بهزيمتـي.. فهنـاك علامـات فاصلة ما بيـن الحياة والمـوت.. يكون للموت دائما الكلمـات الأخيرة التي لا يكتب بعدها شـئ.. ولأن العشـق كان جريمتي الكبـرى التي لـم أسـتطع أخفاءها أو التنصل منها..

ليلتنا حزينة بلا شك.. وصباحنا بعيد جدا.. تسقط الخيوط الفضية فى قاع المحيط، ويعم السواد والعتمة كل الطرق والأزقة، وعندما يأتي المساء تكون الحكايات اوصدت آخر فصولها، وكتبت كلمات النهاية، فلا أمل من الانتظار أو الترقب، انتهى المشوار.. كنت أعلم أننا سنفترق.. ولم يكن يخطر ببالى أن تكون الطرق عكسية تتسع المسافات فيها بيننا وتصبح شاسعة وغير محتملة، بحيث لا يمكن التقاؤنا مرة أخري.. تمنيت أن نتجاور فى الرحلة الأخيرة، حتي ما إذا اشتاق أحدنا للآخر فلن يكلفه الأمر سوى ايمائه يمينا أو يسارا.. لكن يبدو أن هذا أمنية صعبة المنال.

(17)

أمـرأة تايواني

الفـرق بيـن المنتـج الاصلـى والتقليـد لأى سـلعة من السـلع ليس صادمـا، فالمسـألة يحكمهـا الاعتياد والعشـرة، طالما أنها قـادرة على أن تعطى نفس النتائج المتوقعة والمطلوبة، أما مسـألة الشـكل والخامة فيعوض عنها فرق السـعر، ونجاح التجربة من عدمه هو المعيار الوحيد للحكـم، والأسـواق الآن مليئة بالبضائع الصينيـة والتايوانية، حتي وأن كان هنـاك بعض النواقص فيمكن اضافتها بسـهولة، فالقرصنة شـملت كل شـيء، ليسـت هناك أدنى مشـكلة فالأمر يشـمل كل شـيء بدءا من الاجهزة الكهربائية حتي العواطف الإنسانية.

أسـتطيع أن أبدأ من جديد مع امرأة أخرى غيرك يا «حبيبتي»، مازال فى العمر براح، ولن يكلفنى الأمر سوى البحث فى الأسواق والأرصفة والمعارض المتنقلة، تجربة فاشلة ليست معناها انقضاء الأمل.. وليس صحيحـا أنك تملكيـن مفاتيح قلبي كمـا تزعمين.. ربمـا يكون قرارى الوحيـد الصائب الذى لم تسـاعدينى على اتخاذه هـو الانفصال عنك، فقـد مللت تبعيتك والسـير وراء نظراتك وأنفاسـك وعتابك المسـتمر

حـول أى تصـرف اقوم به، فكل ممارسـاتي أعاقب عليهـا أمام الجميع وكأني تلميذ اهمل واجباته المدرسية.

أريد أن اتحرر منك، واستعيد عافيتي ونضارتي وانطلاقى من جديد، اريد أن تكون الكلمة الأولى والاخيرة لى من دون وصاية، فأنا استطيع أن أصنع امرأة غيرك، تحمل نفس مواصفاتك الخرافية والتي لا تستطع أى امرأة أن تبلغها أو تقترب منها، سـأعلمها كيف تشعر وتعشق وتغنى وتحنـو وتعطف، وأن تعطى بلا حدود ودون انتظـار مقابل؟ أريد امرأة أشـعر معها بأننى اقودها واتحكم بها، لا تسوقنى كالبعير، لقد اختزنتك داخلي.. سـأقول لها أن حدود تفكيرى تبدأ منك وتنتهى إليك، سـوف تكـون تابعة لى ولأفكارى وأحاسيسـى، ابتياع نسـخة مكررة منك امرا هينـا، وبتكلفـة أقل كثيرا.. لا يهـم أن تكون مقلدة، سـأعلمها طريقتك البديعـة فـى امتصـاص غضبـى، وتخفيف آلامـى، وكيـف تحتفظ فى عيونها بسـر بشاشـتي وطفولتـي.. وأن تمنحى القوة والثقـة، وأن تلبى احتياجاتي الكثيرة وطلباتي الطفولية. ربما تناسـبنى وتوافق هوايا امرأة تايوانيـة مقلدة، فأنا ايضا لا املك مواصفات أصلية، ومأسـاتي الكبرى أننى كنت أشعر بضآلتي معك، وبقدراتي المحدودة.

وسأراعى ألا أكشف عن أخطائى وما يدور بداخلى حتي لا تقوقعنى وتقيدنى وتسـتبيح الهواء الذى اتنفسه كما فعلت.. سأحرص على عدم البوح بأحاسيسـى حتي أملك دائما طريقـا للتراجع، فلن أدار بعد ذلك بالريمـوت مثلما كنت تفعليـن وتتحكمين فى تصرفاتـي وانفعالاتي.. اسـتطيع أن أبـدأ من جديد مـع امرأة جديدة لا تعرف عن تاريخى شـيئا سـوى أننـى عاشـق منتصر، سـوف أحكـى لها عـن انتصـارات وهمية ومعارك خضتها وظفرت بغنائمها وحدي.

وإذا فشلت فى ذلك سوف ارجع إليك ذليلا كما كنت دوما، وسوف تغفرين لى، لأننى تعودت الجنوح والمقامرة والتطرف وارتكاب الأخطاء الكبيرة بحجة عدم الفهم، وتعودت منك الغفران. سوف أحاول وإذا فشلت، سوف تسامحينى، فأنا منك وإليك حتي وأن تخيلت فى لحظة جنون أننى استطيع الاستغناء عنك، سوف تسامحينى، فسامحيني.

(18)

رجل صينى

أنـت رجل سـهل الكسـر، رخيـص الثمـن، أمثالك يتكومـون علي الأرصفـة والنواصـي، تباع بالجملـة وبالتقسـيط، وأحيانـا تضاف إلي السلع الرديئة لجذب الانتباه وجر الزبائن التي تلهث وراء الكم، متوافر أنت بالأسـواق الشـعبية والأزقة الضيقة الخانقة التي تطفح بها مواسير المجـاري، وتفـوح منها الروائـح الكريهة، فلا تجعل من نفسـك تاجر شـاطر، وانت سـلعة مهملة تبحث عن باعة متجولة.. كشـفت كلماتك البائسـة عـن ضحالـة ثقافتك وفقـر ابداعك، انـا بالفعل سـلعة مقلدة، لكنـك لا تحمل أي مواصفـات صناعة، فأنت سـهل التركيب والفك، وفي أحسن الحالات انت لا ترتقي لزهور الزينة البلاستيكية التي تفتقد الحس والذوق والروح، ويضعها السـوقة داخـل بيوت الراحة لتضيف عليها فانتازيا متخلفة.

حاولت إيجاد عذر مقبول لك يفسـر تلك الأفعال الغريبة والمشـينة التـي تصـدر منـك تباعـا، نعم أعتـرف بأننى بحثـت عن عـذر، يجنبك الحرج، أو اللجوء للكذب الذي فشـلت فـي احترافه هربا من مأزق قد تضطرك تصرفاتك البلهاء للوقوع به، أو أن شئت حاولت أن أبنى جسرا

هلاميا لنعبر عليه بعدما حاق الخطر من كل جانب، فقد كنت على يقين أن ضعفي من الاشفاق عليك عندما تبدأ مرحلة التوسل والرجاء سوف يرجع بنا إلي نقطة الصفر. لا يمكن بأي حال من الأحوال أن تكون مهمتك في الحياة هي كسر الاشياء واتلافها، وتكون مهمتي هي اصلاحها مرة أخري. تحمل مسئولياتك مرة واحدة فقط، وواجه نفسك.

أنت لا تستطيع أن تصنع قرار، فكيف تصنع أمرأة غيري، وما الذي منعك كل هذه السنوات التي انشغلت فيها بالندب من أن تفعل شيئا ذات قيمة، لا تحزن المجال مفتوح أمامك فآرني قدراتك الخرافية أو حتي العادية، تريد أن تكون الكلمة الأولي والأخيرة لك دون وصاية فخذ قرارك الآن، خذ قرارك الآن، هل تنتظر الاذن مني، كان عليك أن تحاكم نفسك أولا وأن تلقي عليها هذه التفاهات التي سطرتها، انت رجل سلبي لم تصنع أي انتصار حقيقي، احترفت الشكوي والبحث عن ضحية تحمل خيباتك المتكررة وفشلك المتوالي. فكن رجلا وافعل أي شيئا، اطلق يداك في وجهي، فلن أغضب منك.

لا أريد أن تتحول رسالتي إلي علامات استفهام، دعك من كل هذا الهراء، وأفصح لي ما الذي دفعك لذلك، رضيت بك بكل ما تحمله من نواقص وسلبيات ودربت نفسي علي التكيف معها، تريد أن تدخل تجربة أخري مع امرأة أخري بنفس مقوماتك الحالية، فمن تلك التي تستطيع أن تحتملك، وتسدد عنك تلك الفواتير الآجلة حتي أذهب إليها متوسلة لترفع عني عناء حبك.

خذ حذرك مني، ولا تتوهم خيرا في شفقتي، فقد جردني حبك من الانسانية، لقد اختزلت كل المروءة بأفعالك.. واستعد لأنني سوف

أمـارس معك كل المحاولات التي تـؤدى إلى اختفائك من الدنيا.. فلا أمـل فى إصلاحك، فقـد أصبحت رجل معطوب، تالـف، انتهى تاريخ صلاحيتـه.. وسـوف يكـون احتضارك؛ شـعورا جميلا يكسـبنى بعضا من النشـوة واللذة.. فتحمل ما سـتلاقيه.. سوف أمارس معك الجريمة الكاملـة.. ولكن دون بـكاء.. فأنا أعجز عندمـا أرى دموعك تلك التي تضعف داخلى أى مقاومة وتجعلني اتراجع.. اتراجع..

(19)

رحلة الوهم

ليس من العدل أن أظل متجولا بين المحطات والمطارات والموانى أبحث عنك، انقضى العمر وارهقتنى التجربة، ولم احتمل أكثر من ذلك، أخشى أن يلقى حتفى دون أن أظفر بك، ويلقى بي فى إحدى صناديق القمامة انتظارا لمن يتعرف على ملامحى، أو أن ادفع فى ثلاجات حفظ الموتي الغرباء، أصبحت الآن بلا موطن أو عنوان، فأنا منذ زمن بعيد أحمل حقيبتي وأطوف الدنيا فى محاولات بائسة.

إلى متي سوف أبحث عن قصتي الأخيرة فى الأرصفة الموصودة المقفولة؟ وعلى الشواطئ المشبوهة المزدحمة..إلى متي؟.. سئمت الرحيل والتجوال خلف بوابات المدن الخربة المسكونة بالأشباح والأحزان.. إلى متي سيستمر هذا الترحال القسرى الاضطراري؟ طفت كل المدن بحثا عنك.. ووقفت على مراسى الدنيا انظر فى المدى البعيد عن ملمح يرشدني إليك.. أو عن شراع جرفته الريح جنوبا أو شمالا، لكن الشوف عجز عن رؤية شئ يتبدى من عمق البحر أو من قلب الوهم، حتي بدأ الجميع يتشكك فى نواياى، ولم يعد أحد يصدق روايتي الخرافية عندما اقول أننى ابحث عن حبيبتي الغائبة،

ولأنــي أعيش داخل ذاكرة تعبة ومرهقة اتشـبث بـأى أمل حتي ولو كان وهميا، فيمارس معى البعض السـخرية ويقذفوا بى إلى بلاد بعيدة بغية التسـلية، وعندما أذهب إلى هناك اكتشـف مأسـاتي، وأعود ليمارسـوا معى ذات اللعبة من جديد، ولا اتعلم من التجربة، فأنا أخشـى أن يكون تخاذلى سببا فى فقدانك.

عندمـا كان يحل بى التعـب وترهقنى قلة حيلتي كنت أتمنى أن تأتي لى فى صورة وهما وخيالا فاسـتريح واكف عن المحاولة، حتي الوهم ضن على بالمجئ.. تركت الدنيا وما فيها من أجلك، ولم يشغلنى شيئا منها سواك فأنت الدنيا وأنت العمر.. احتاج فقط بضع دقائق احكى لك فيها عن رحلتي الطويلة الشـاقة، اخبرك ماذا تحملت وعانيت وكابدت وقاسـيت، وواصلت الليل بالنهار، صعـدت الجبال، وهبطت الوديان، وركبت البحر والجو، عمرى كله مرهون بنظرة واحدة، او كلمة واحدة أو ايماءة واحدة، ليس كثيرا على، بل أنا استحق جزاء كريم على معاناتي الشديدة، فليس من الانصاف أن تكون تلك نهايتي.

اتفحـص فى وشـوش الغاديـن والراحيـن بحثا عنك.. لـم يتبق من العمـر إلا قليل.. أصعب شـئ يا حبيبتـي أن ننتظر العمر بحثا عن شـئ لا يأتي ولن يأتي.. لكن الأمل يجعلنا نخترع الكذب على أنفسـنا ومن حولنا حتي لا نفقد شـهية الاسـتمرار، ويقتل اليأس فينا الأمل ويتحول إلى لحظات باهتة تعوق اسـتمرار الرحلة.. أصعب شئ أن نحفر بأيدينا قبورا أبدية وندفن فيها أحياء بإرادتنا قربانا لسراب..

يمضى العمر وئيدا بطيئا ويسـحب معه بقسـوة آخر الأنفاس.. آخر الكلمات.. آخر الأمنيات.. وآخر اللحظات.. عندما تهون كل الأشـياء لا تبقى سـوى نظرة من عينيك.. كلمة تجعلنا نتذكر أن العمر لم يمض

سدى أو دون ثمن.. لن ابكيك.. فلم أعد قادر عن البكاء، بعدما لفظت ضلوعـي كل آهـات الألـم..اسـدل السـتار ولا عـزاء.. ولا عناق.. ولا بكاء.. ولا لقاء..كل الغائبين عادوا إلا أنت.. إلا أنت..إلا أنت..

(20)

شجرة السنديان

فى الزمن الصعب تفتح الدنيا ذراعيها لتحتضننا.. تبدر فى عيوننا أحلاما بالوفرة بعد كساد دام كثيرا.. وتطرح الفرحة فى سنابل البهجة وعيدان الخير.. فى الزمن الصعب تأتي الأحلام المؤجلة بعد سنين الحرمان الطويلة.. تهرول إلينا بعد أن ترى الحسرة والشعور بالانكسار والكهولة ارتسما في مقلتينا، ولكن بعد فوات الأوان.. تتوالى الفرص الكبيرة فى الوقت الضيق المتوتر، وفي زمن لا يحمل ملامحنا.. تفترش الارض وتعلن عن وجودها فى تحد.. بعدما كانت تضن علينا بأن تلوح أو تمر؛ المرور العابر السريع.. كنا فى الماضى نترقب أنصاف الأشياء وفتات النور وشحيح الأمل الخافت..

تذكر شجرة السنديان التي كنا نلتقى عندها؛ شاخت وذبلت وتساقطت أوراقها بعد ما كانت يانعة تملؤها النضارة، لكنها تحتفظ بقيمتها، وطالما جلسنا تحت أغصانها نستظل بفيها نهارا ونردد أبيات العشق والغرام حتي ينتصف الليل علينا. هل تذكر؟! فترنا معا وتهالكت عزيمتنا وأصبحت الآن لا نفع منها سوى حجب الشمس فى

أيـام القيظ.. وصار جدارها مرتعا للعشـاق الصغار تنحت عليه قلوبهم الصغيرة وحروف اساميهم..

لا اسـتطيع أن أعـود بالأيام للوراء، وأن اسـتطعت فلـن أتمكن من مسـايرتها وملاحقتهـا، نعـم مازالـت القلـوب متأججة بالحـب، لكن ينقصهـا الانطـلاق، فهـل تسـتطيع أن تفعـل ذلـك؟ لـم أكـن أعرف أن الانطباعـات القديمة تدوم كل هذا الوقـت وتلقى بظلالها لأبعد مدى، فرغم السنوات الكثيرة التي مرت، والتجارب التي خطت خيوطها على الوجه والعقل وخبرة الحياة المتراكمة، لازال اللقاء الأول عالقا بذهنى لم يبرحه، بل تثقله الأيام حيناً بعد حين بأواصر متينة.

فرقت بنا السـبل وابعدتنـا تراجيديا الحياة، وتداعـت الخيوط فوق بعضهـا وفرشـت شـبكة عنكبوتيـة شـديدة التعقيد، حاولـت التخلص منها عبر سـنوات طويلة، لكن محاولاتي تهشمت على صخرة الذكري القديمة، وتعقدت مشـكلتي أكثر فأكثر، وبات الخروج أملا تمنيته وعز علـى اقتناصه، حتي كدت أشـعر أن فى الأمر شـيئا غيـر طبيعى، يخفق القلب الملتاع، وتضطرب المشاعرى وتتأجج، وكلما حاولت تجاهلها دقـت بقوة داخل ذاكرتي المتعبة، واسـترجعت لحظـات الماضي بكل قساوته وحلاوته.

وعندمـا يأتـي اللقاء الآن، لا أدري هل هو عـزاء، او محاولة جديدة للعذاب، لسـنا مضطريـن لتقديم اعتذار علي سـنوات العمر الفائتة، لـم يكـن الحزن عليها لأنهـا فرقت بيننا.. ولكن لانها اخـذت معها الانوثة والجمال والقدرة على الفعل.. تراجعت لياقتنا كثيرا بتقدم السـن، فهل تكفي المشاعر لمزاولة العشق بعد كل هذه السنوات.

يبدو أنك لم تنظر فى وجهى جيدا.. ارقبنى مثلما كنت تفعل من قبل.. فتلك الخطوط المنحوتة فى وجهى حفرت بفعل الزمن وصارت تجاعيد، اصبحنا مثل شجرة السنديان المعمرة.. زحفت الخشونة والرطوبة إلى مفاصلنا.. لم يبق لنا الآن سوى اجترار الماضى من الذاكرة الهرمة التعبة، ويكفينا أن الأيام سرقت رغما عنا، ولم نبددها، أنت رجل جميل ولكنه أتي في الزمن القبيح.

(21)

بقايا قصة

لـم أندم على شـيء فى حياتـي مثلما ندمـت على تعليمـك القراءة والكتابـة، فلولا هـذه الخطيئة الكبرى التي ارتكبتهـا بإرادتي ودون أى تحريض من الشـياطين، ما كنت استلمت خطابك الأخير، والحق أننى استحق أكثر من ذلك، فكل مجرم يجب أن يكفر عن جريمته بأى شكل من الأشـكال حتي يسـتتب العدل فى الدنيا وينتشـر السلام والوئام بين الناس جميعا، وهاأنذا اكفر عن جريمتي بقراءة رسالتك.

وصلنى خطابـك المترهل المنتفـخ بالهواء.. قرأته لم أفهم شـيئاً.. أعـدت قرأته مـرات ومرات.. فسـطورك الخائفـة المفزوعـة المترددة تهرب منها الكلمات، وحروفك البائسة الخاضعة تئن من فرط ضياعها وتشـتتها؛ معان تبحث عن جمل صريحة مفيـدة دون جدوى.. وأعذار واهيـة كعادتك.. ومحـاولات للتبرير فاشـلة ومتدنيـة، لا تقنع طفلاً.. واكاذيب فى صورة حقائق، وحقائق تحولت إلى أكاذيب وأمور أخرى اصابتنـى بالكآبـة والضيق ليـس من فرط سـذاجتها، ولكن من بشـاعة سخافتها.

رسـالتك يا عزيزتـي عاجزة ومكبلة، لا تحمل دفء الأحاسـيس أو اى منطـق، ربمـا فقدت الإحسـاس والتمييـز، جاءت بعد طـول غياب تتسكع على رصيف توسلاتي.. وتحاول أن تتسلق أسوارى بلغة ركيكة هابطة، وبأساليب رخيصة، وحكايات ملفقة، كوجهك المستعار وقلبك الإسفنجى، كنت أعتقد بأنك بارعة فى الكذب، لكنى أصبت بخيبة أمل ضاعفـت من غضبى عليك، كانت رسـالتك هـى رصاصة الرحمة التي اجهـزت على علاقتنا وقضت على أى أمل كان يحوم فى الافق، وصار الآن شبحا فى الاساطير.

لست نادما على شيء.. فقد تعلمت.. وأصبح واجبا أن أقدم الشكر والعرفـان.. أعلم أنك لـم تقصدى كل هذا الهراء الذى سـطره قلمك، وصلنـى نعشـك، أقصد خطابك الاخيـر، وبعد قـراءة المقدمة الطويلة المملـة التي تبعث على الضجر والسـأم والإشـفاق والنعاس المتقطع، تمنيـت لو لم يصلنى، وندمت ندما شـديدا علـى معرفتي بالقراءة.. كى تظـل صورتـك عالقة بذهنى، حتي ولو على سـبيل الذكري.. تناسـيت أننـى من علمتك كيف تتكلمين وتشـعرين؟ ولأنـك غبية لم تدرك أننى أكثر الناس مقدرة على فهمك، وكشف خداعك.. حاولت أن تمارسى معـى تلك الألعاب السـاذجة التي علمتك اياها ويـا ليتك تعلمتي حقا، فلم تشـفع لغتك المكسورة، بل كانت دليل إدانة وقرينة اتهام على أنك أسوأ وأغبى امرأة فى التاريخ.

لا عـزاء ولا رجـاء.. انقضـى زمانك.. واسـدلت السـتائر السـوداء على آخر مونولوج فكاهى، لم يسـتطع أن يخرج ضحكاتي، بل نلت ما تسـتحقين من لعناتي، ربما يكون ممكنا فى ظروف أخري.. وفى زمان آخر، وفى مكان آخر، وبالتالى مع شخص آخر غيرى، بشرط أن تتخلى

عما تتصفين به من سطحية وبلاهة وسوء تقدير، أما أنا فمن الصعب أن أتجرع تلك الكأس الملوثة مرة أخرى، فأنت يا عزيزتي امرأة من يصادفها فى أحلامه مرة واحدة، تنتابه حالات الصراخ والفزع.. ولا يتمنى أن يراها فى صحوه مرة أخري.. فإذا أردت أن تقتحمين نومى، فأعدك بأننى لن أنام..

(22)

الهـــــروب

محاولــة رديئــة للهروب لم تفلح فــي تمريرها، ولـم تسـعفك لغتك السـريالية فـي تشـتيتي، تقمصـت الـدور لكنـك نسـيت الحـوار الذي يتفق مع الشـخصية، فجاء اداتك فولكلوري شـعبي متكلف ومضحك فـي ذات الوقـت، كلمة عاميـة وأخري فصحـي، حاولـت اقحامي في حسـاباتك المعقدة.. وداخل عباراتـك المأزومة المخنوقة وتصرفاتك البلهاء.. فلماذا تحمل الأشـياء أكثر مما تطيق أو تحتمل.. دعنا نسـمى الأشـياء بأسـمائها الصحيحة، ولا داعى للمبالغـة أو التلاعب بالألفاظ حتي لا نرى أنفسـنا خارج حدود المنطق ونبتعد عن المشـكلة الرئيسية التـي نعانـي منهـا ووصلـت بنا إلـي هـذا الحـد.. عليـك أولا أن تفك رمـوز هذه الطلاسـم التـي صنعتها بنفسـك.. وأن تعتـرف باخطائك.. ثـم نحـدد بعد ذلـك المسـئوليات.. إما أن تعلـن الحـرب وتأجـج النار المشـتعلة فهذا سـوف يفقدنا كثيرا من هدوئنا واتزاننـا ويجعلنا نتخبط فى الحوائط الناشـفة الصلبـة.. الهروب من المناقشـة وتحديد الأدوار جنون..انتحـار.. هل مطلوب مني كل مـرة أن القنك الدرس، الم تفهم من نفسك، لقد سئمت تكرار الكلام.

اشـكـرك لأنك علمتني القراءة والكتابة فلولاك ما اسـتطعت ان اقرأ رسـائلك الملهمـة التـي تصيـب كل من يقرأهـا بالجنـون، واحمد الله ان خطابـي اصابـك بالاكتئـاب فهذا دليـل علي أنك مازلت تشـعر، اما سـطوري الخائفـة وحروفي البائسـة ولغتـي الركيكة وعباراتـي التائهة المشـتتة فلا ذنب لي فـي ذلك فقد اعتمدت علي معلم فاشـل لم يفلح في تعليمي بشـكل جيد وتفرغ لتعنيفي، فجاءت ممارسـاتي كما قرأتها اكاذيـب في صورة حقائق، وحقائـق تحولت إلي اكاذيب، وصف دقيق ومفعم يحتاج إلي قاموس لاتيني لترجمته.

تلقي التهم على وكأننى السبب لما نحن فيه وليس غباؤك ورعونتك وضيـق أفقـك.. معذرة لن أقبل أن أكون ضحية أو كبش فداء.. فلسـت علـى استعداد لتحمـل أخطـاء الآخرين تحـت أى مسـمي..عليك أن تتحمـل عواقـب أفعالك وحدك، لسـت فى حاجة لأن أذكـرك أن تلك العبارات التي قذفتها فى وجهى لا تلقى أى بال أو اهتمام منى.. قول ما شـئت.. انتهازية..أنانية، من حقك أن تعبـر عن مصيبتك حتي وإن كان بإلصاق التهم بى.. فلن يتغير شئ..

نهايـة جميلـة تـروق لـي عندمـا يسـدل السـتائر عليك وانـت تلقي هـذا المونولوج الهزلي والذي سـوف يكون ذكري تسـتدعي الضحك والفكاهة، وأعدك أن بشرط أتخلى عن سطحيتي وبلاهتي وسوء تقدير، ولو الأمر لن يحتاج الي أي وعود، بغيابك سوف اتخلي عن اشياء تافهة كثيـرة علقـت بثوبي، حتـي إذا صادفتك مرة في أحلامي سـوف تنتابني حـالات الفـرح، ويمكننـي الآن أن أنام مـلء جفوني، وعندما اسـتيقظ سستغرد الطيور علي نوافذي وتبشرني بيوم جميل.

ربمـا تكـون حالة من حـالات الملل التـي تصيب العاشـقين نتيجة الروتيـن الذي يعيشـونه بشـكل متكـرر ودون تغييـر، وربمـا تكون قد تقلصـت قدرتنـا علـي الغفـران والتسـامح، وأصبحنا لا نطيـق صغائر الأمـور ونجعل منها خطايـا كبري، وربما - أخيراً- تكـون الحكاية قد انتهت هذا الحد، وأصبح من الصعب الاسـتمرار أكثر من ذلك، وعلي أي حال نحن في حاجة إلي وقت مستقطع نقيم فيه الأمور، ونقف علي الأسباب الحقيقية التي جعلت حكايتنا.أشبه بألواح الثلج.

(23)

لعبة الحب

فـى حضـور الجميع، نمـارس لعبـة الحب علنـا، ننطـق بالكلمات دون أن يسـمعها أحد.. ونرسـل النظرات عبر عيونهم دون أن ترصدها راداراتهـم المنتشـرة فـى كل مـكان والتـي تحـاول أن تتلصـص علـي تحركاتنا وتحصي انفاسنا وأهاتنا، لكننا لا نبالي ونكتب قصص الحب والعشـق، ونطير فوق روؤسـهم نتهامس بالاسرار.. نتبادل الرسائل فى حضرتهـم وأمام أعينهم لكنهم لا يشـعرون، أن الخسـوف يحدث مرة واحدة، لكنه معنا يحدث كل لحظة..

نتعاتـب، نتعارك، نتشـاجر، وفى نهايـة المطاف نتصالـح، ولا أحد يـدرى شـيئا، وكأننا عشـقنا أن نجعلهـم أصناما لا تسـمع ولا تري ولا تشـعر.. نشـتاق لممارسـة الحـب أمامهـم ولا يمنعنا شـيء مـن البوح والصـراخ والهتـاف والغنـاء.. تعودنا علـي تلك الطريقة السـحرية في العشق، واخترعنا اساليب جديدة تمنحنا البقاء والديمومة.

يتوسـمون فى أنفسـهم الـذكاء وسـرعة البديهـة، ويحاولـون اقامة الحواجـز بيننـا حتي لا تلتقـي أرواحنا وتسـبح في عوالمهـا الخرافية،

يظنون وهما أنهم قادرون علي تحجيمنا وتكبيل عواطفنا المتأججة، لكننا نثبت كل لحظة أننا أكثر مكرا وأنهم بلهاء يتمتعون بقدر كبير من السذاجة، أو نتمتع نحن بقدر كبير من الدهاء. فنحن نملك كل الفراغ المحيط بنا، ونرضخه لاهواءنا ولهونا ولعبنا، ونستبيح كل الاشياء لننعم بها في حضرة الزحام والضجيج الذي لا ينقطع ولا يهدأ.

فى حضرتهم آتي إليك أصافحك أحادثك أغازلك، ثم أصحبك معى فى رحلتنا اليومية، نحلق فى مدينتنا نلعب ونلهو ونرقص ونتجاذب الكلمات المعسولة الجميلة، ثم نعود، ولا أحد يدرى بأننا تركنا المكان.. نكتب فى العشق قصصا لم تكتب من قبل، ونروى حكايات لم تحك من قبل، ونسبح فى مياه لم ينزل فيه أحد من قبل، أننا باختصار نعيش فى مملكة لم يقترب منها أحد، مملكة نصنعها من خيالنا وافئدتنا الملتهبة بالحب، لا احد يستطيع اقتفاء آثارنا.

نختطف أيامنا قسرا وطواعيه، لا نأبه بأى شيء ولا نرتكن لمن حولنا، كالأطفال نحن فى براءتهم، لكننا نحمل العقل الذي يحمينا من شرور الآخرين.. نمارس الحب سرا، لأنهم لن يسمحوا لنا بممارسته علانية، فليس هناك حرج علينا طالما أن ذلك هو سبيلنا الوحيد للالتقاء، ورغم ذلك نحن أيضا نجد متعة فى التغرير بهم.. فما أجمل الشر إذا تهافتت قلوبنا عليه فى حضرة البلهاء.

يحاول البعض أن يشغلنا في أمور تافهة حتي لا تلتقي عيوننا الساكنة في مقلتينا، وعندما نري اصرارهم الشديد علي تغييب عقولنا نمتثل لهم كذبا ونغرر بهم، بينما نحن هناك في قصرنا المشيد علي جزيرة احلامنا، نشق البحر ونصعد القمر، ونقتطف من الورود أحلاها،

فنقتسم رائحتها بين شفاه لا تشبع ولا تروي وتبحث دائما عن المزيد، أن ممارسة لعبة الحب معك يا حبيبتي هي ممارسة الحياة بكل أشكالها وألوانها وأسرارها، ودونها تنتهي كل علاقتنا بالمكان والزمان، فتعالي نمارس حبنا ليل نهار، ولا نكف ابدا تذوق حلاوته حتي ولو كان ذلك في حضرة الجميع ورغما عنهم.

(24)

مولان روج

هناك بعيداً عن المكان والزمان، حيث كانت الأحلام شحيحة.. منذ أكثر من قرن.. وتحديدا فى «مولان روج» مسرح الحياة الكبير، حيث الوجوه الوحشة والطيبة، كانت الألوان الفاقعة والأقنعة المطاطية تخبئ وراءها وجوها بائسة وتعسة.. تختزن كل واحدة منها حكاية مريرة.

فى «مولان روج» كان هناك «كريستيان» ذلك الشاب اليافع الطموح، ذو القلب الأخضر والتجارب البيضاء، وكانت أيضا «ساتين».. المرأة التي طبعت على ملامحها تجاعيد الزمن، وتصفحت الأيام فى عقلها، فخبرت مآسيها مبكرا، وقصة الحب الممزوجة بالكبرياء والرغبة.

غادة كاميليا أخرى تدفع حياتها ثمنا بخسا لعشقها.. تتضفر الخطايا بالأمنيات، ويتبدل المستقبل ويصير مشحونا بالعذابات والليالى الطويلة، حتي تغدو التضحية قدرا وطريقا لا مفر من السير فيه، ولأن الرغبة غالبا ما تكون مخدراً للحالمين بالنسيان.. الهاربين من واقعهم وقسوته، فإن «مولان روج» تلك البقعة المضيئة التي تطفو فوق بحر من الدموع والمآسى تكون المحطة الأخيرة، لكنها تضع هذا الشرط القاسى والمتعسف، والتي تحذر فيه القادمين إليها من ترك قلوبهم عند

بوابـات الدخول، حيـث فوضى المتعة تحـد من خفقانهـا وانتظامها.. ولأن الصخـب المجنـون فـى أرجائهـا لا يقبـل بالأحاسـيس ويرفض تمريرها.. ومهما حدث فلابد أن يستمر العرض.. ربما يكون التوقيت هو الشـيء الوحيد الذى يخضع للنظام.. أما عدا ذلك فكل شـيء مباح ومحتمـل حدوثه.. ولأن البشـر أداة ديكور لا تختلـف عن قطعة أثاث أو جـدار، كان العشـق يمثـل انتحارا واحتضـارا فى زمـن لا تكتب فيه الأشعار أو تتداول فيها عبارات الغزل..

ولأن «كريسـتيان وسـاتين» لم يتبعا تلك القواعـد الصارمة ضاعت صرخاتهمـا فـى الطرقـات والأروقـة حيث الموسيقى الصاخبـة التي تحجـب كل شـئ إلا الهذيـان، ولأن القانـون لا يحمـى المحبيـن ظن النـاس أن تلـك الصرخـات وهـذا الانتحـاب نوع مـن الفـرح والرغبة اعتادوا سماعه فى صالة الرقص الكبري.. لابد أن يستمر العرض حتي نهايته مهما حدث، إنها لعبة مقدسـة من قديم الأزل، جرى العرف على اسـتكمالها لآخر حركة، وقبل إسـدال ستائر المسـرح يصطف الجميع لتحيـة الجماهير..وعندها تعود الحياة مرة أخرى بعد أن يسـترد الناس قلوبهم عند الخروج..

تختلط الأدوار الحقيقية بالرواية التمثيلية، فنرى «كريستيان وساتين» يأديـان أدوارهمـا فى الحياة.. يتقمصان الشـخصيات ويتعايشـان معها حتـي يصلا لـذروة الاندمـاج وهما لا يدريـان أنهما يلعبـان، وأن تلك الشخصيات هزلية لا تمت بالواقع، لكنهما يتشرنقان داخلها ويرفضون حتي بعد انتهاء العرض وانتزاع الأقنعة.. تسـقط «ساتين» قبل أن ينتهى العرض.. يلتف حولها الممثلون.. لكن عيناها المستسـلمة للاحتضار تبحث عن «كريستيان» الذى يجلس بجوارها دون أن تلحظه ، تتحشرج

أنفاسـها التي كانـت ملتهبة فى بداية العرض لتخـرج بصعوبة.. باردة.. سـقيمة.. عليلة.. تتابع الجماهير ما يحدث مشـدوهة ومشـدودة.. ظنا منهم أنه أحد فصول الرواية.. بينما الممثلون كانوا يعون جيدا خطورة ما يحدث.. العرض لابد أن يستمر، حتي لو كانت «ساتين» تلفظ أنفاسها الأخيرة.. أو أن «كريسـتيان» حالت دموعـه دون تكملة الحوار.. فلابد للعرض أن يستمر.. نحن هنا، وآخرين هناك لتكتمل الحكاية الجميلة، فلابد أن يستمر العرض..

(25)

الوشاح البنفسجي

لست فى حاجة إلى اعتذار.. دعك من الكلمات الباردة، فالموقف لا يحتمل، ودعينا نعبر من أيسر الطرق وابسطها، فليس هناك ضرورة لتذويق القبح والاختباء فى ستائر عارية تفضحك ولا تستر افعالك السخيفة، أن افتعال ما ليس فينا حماقة وغباء، فكل شيء واضح وضوح الشمس، فماذا يجدى من تلك الافعال المكشوفة التي تحقرك ولا ترتقى بك، يمكنك لملمة أشيائك في هدوء أو فى صخب كما يحلو لك.. كل شيء كما تركتيه آخر مرة، لم يتغير مكانه، ولم يعبث به أحد، فهذا المكان لم يدخله غيرك، ولن يدخله غيرك.. لازالت رائحتك تعبق المكان وتستبيحه، وأظافرك هى آخر ما لمسته، زهورك تحتفظ بعبيرها الفواح، وإن كانت أعوادها جفت.. وشاحك البنفسجي المثقوب كما تركتيه على وسادة أيامى مازال يحلم بدفء الكلمات وحنين النظرات، الصور الخاصة بك موجودة بالألبوم أعلى رف المكتبة، احملى كل ما ترغبين فى حمله، ولا تهتمى أن كان لك أو لى، فالقسمة شيئا لم نعتاده فى يوم من الأيام، وليس من اللائق أن نتبعها الآن، تعالى نحافظ على الشكل بعدما استبحتي الجوهر واغتالتي معانيه الجميلة.

كنـتِ حريصة علـى التقاط الصور بمفردك، رسـائلك المائة ملفوفة بالشـريط الأحمر، ولاعة السجائر الخاوية، كتاب كنا قرأناه معا، بعض أدوات الماكياج الفارغة، ومشـابك شعرك المتناثرة، ثوب اسود بغرفة النـوم، يمكنك انتزاع اللوحات البيضاء الخاصة بك من على الجدران، فنجـان قهوتك الأبيض مطبوع عيه شـفاهك الارجوانية، يمكنك اعادة الغرفة لحالتها الأولى، لا حاجة لى بشكلها الحالي.. استعيدى اشياءك وأرحلـى بهـدوء.. دون وداع، أو نظـرة نصفهـا شـفقة والنصف الآخر شـهوة، ليس هناك كلمات أروع من الصمت، وليس هناك حاجة لتبرير مـا حدث، لـن تجدى الكلمات، ولن تزيل العبارات الشيك شـحوب الحكايات وتجاعيد الذكريات.. امضى بهدوء..

لملمـى أشـياءك المبعثرة فى سـنين حياتي وأيام عمرى، ولا تنسـى انفاسـك الملتهبـة التي احرقت مشـاعرى فى ليالى الشـتاء، همسـاتك العبيريـة التـي رطبـت هجيـر عمـرى، أجمعـى مـا تشـائين وأرحلي.. كلماتك التي جرعتنى أول كلمات الحب، لمساتك الحانية التي طيبت جراح القسـوة من الآخرين، لحظات بكائـك على صدرى ليال طويلة، ولا تنسى أن تنزعى من فوق كتفيك يدايي التي ربتت كثيرا، وخصلات الشـعر الملتصقة بثيابى.. ضحاتك العالية التي كانت تدغدغ احباطاتي وانكساراتي.. نظراتك المسـافرة فى الأرجاء والأركان وزوايا الغرف، صادرى الذكريات والليالى الجميلة، واطو الأيام بين راحتيك.. لملمى اشـياءك وارحلى فى هدوء، وحاولى أن تطوفـى على كل الاماكن التي شـهذت لقاءاتنا وامحى منها كل الذكريات التي عشـناها هناك، شـجرة كتبنـا عليهـا حـروف اسـامينا، نهر ارتشـفنا مـن مياهـه فارتوينـا، هواء استنشـقنا عبيره فأسكرنا، حاولى قدر اسـتطاعتك أن تمحى كل اثارنا،

فلا تشغلي بالك بى، فأنا بالفعل تم محوى من الذاكرة ومن الوجدان، فلا تخشى مني. لم يعد لى شيئا بعد الآن.

دعينى أتأمل ما حدث، وسوف أبذل قصارى جهدى لايجاد تفسير يعفيك من الحرج مما حدث، فأنا المخطئ المذنب، لا تقلقى فسوف ألوم نفسى وأوبخها وأعنفها، وأحملها كل ما حدث، واتهمها بأنها........... اتهمها بماذا؟ لن تنسى أن تساعدينى فى ايجاد اتهام الصقه بنفسى، حتي اعفيكى من كل التزاماتك العاطفية.

(26)

المرتبك

دعك من هذه التصرفات الصغيرة، فلسنا مراهقين حتي نلف وندور حـول أشـياء فرعية لا طائل منهـا غير إضاعة الوقت، وكـن صريح ولو لآخـر مرة فـى حياتك، مـاذا جد؟ هـل هناك امـرأة أخـري؟ الأمر كما تري أسـهل مما تتصور، يمكنك الرد بنظرة عين، فأنا أعرف لغة عينيك الكاذبة، وكثيرا ما كنت اقرأها وأكشـف ما بها من رغبة وشبق وطموح، وكثيـرا ما أرضيتها، نفس الكلمات تتكرر، وكأنها اسـطوانة لموسـيقى جنائزية. لـم أعهد فيك هذا الخجل من قبل، تمتعت بالبجاحة الشـديدة التي لـم تراع فيها الذوق، فما الذي بدل من طباعك، كانت دائما رغباتك تجد لها طرقا يسيرة للخروج، وبدون أى خجل أو استحياء، ماذا حدث الآن؟

أتذكـر أنك صارحتني يوما بمشـكلة صديق لـك، يحاول أن يفكك علاقـة عاطفية تقيد حريته، ونصحتك حينذاك، بأن الصراحة هي أيسـر الطرق، والقيت عليك كيف يخرج من هذا المأزق، وأتذكر أن اقتراحي وجـد صدي طيب عنـدك، فهل أنت هـذه الصديق المزعـوم؟ وهل أنا

ذلـك المـرأة الغبيـة الذي لم تفهم بعد؟ الأمر بسـيط جـدا ويحدث في احسن العلاقات العاطفية، فما بالك بعلاقاتنا الفاشلة الخائبة.

دعنى أيسـر لك الأمـور أكثر، فى الفترة الأخيرة مـن علاقاتنا، هبت علينا ريح باردة، جثت جذور الحب والعشـق فى أرضنا البور، وذهبت عن لقاءاتنا الحميمية والشـوق والعبارات المعسولة، لاحظت ذلك من عصبيتك المفرطة التي كانت تنتابك من غير سبب، وتعجلك الدائم في الانصراف دون ابداء اسباب منطقية، ربما أكون أصبحت أكثر عصبية، أتكلـم كثيـرا دون اعطائك فرصة للـرد أو التعليق، لم أعد أشـترى لك الورود كل يوم، أو أغدق عليك بالهدايا فى أعياد الميلاد، حتي اللحظات القليلة التي تتسم فيها طباعى بالهدوء، أكون شاردة وتائهة عنك.. وفى هـذه الأونة خفـق قلبك لأمـرأة أخري، هادئـة ورزينة وعفويـة، وربما تتفجر منها الأنوثة وينسـاب الدلال علي شـفتيها عندما تتكلم، تشعرك بجولتك، وتشتري لك الهدايا الثمينة الذى ترضى فضولك وتطلعاتك، لديها شـقة، وسيارة، فأنا أعلم أنك انتهازي ووصولي، والأهم من كل ذلـك أنها تجيد التعامل معك، وتترك لك حرية التصرف والحركة دون قيـود، وأن امكاناتها تفوق قدراتي المتواضعة، وأنك تري انها فرصة لا يجـب التفريـط فيها، خصوصا إذا كان البديل امـرأة مثلي فقيرة معدمة، متوترة ومتسلطة، حقيبة يديها خالية دوما من المال.

ربما يتوق لك هذا السيناريو السريع، لإنهاء هذا الموقف السخيف، أشـفق عليـك مـن الإحراج، تكلـم لا تقف مثـل التماثيل فـى الميادين العامة، فليكن ما رددته صحيحا، ليسـت هناك مشـكلة، يمكنك أنت أن تجمع اشـيائي وتضعها في كيس أسود وتتركها عند حارس العمارة، أو

يمكنــك التخلص منها، فليس بها شــيئا ثمينا كما قلت، فهذا ســيجنبك رؤيتي ويعفيك من حرج انتقاء كلمات حميمية في ظروف مرتبكة.

لا تكلف نفســك عنــاء البحث عن تهمة تلصقها بذاتــك العليا حتي تبرر هروبك المفاجئ، يمكنك الانسحاب بهدوء ودون أن تنطق بكلمة واحــدة، الامر يســير جدا، فرجل مثلــك يجتهد في ايجاد عــذر ينهي به علاقة حميمية لا يستحق العزاء أو حتي كلمات التأبين.

(27)

محظية هندوسية

ليس باستطاعتي انزال المطر، أو تغيير اتجاهات الريح حسب أهواء شـراعك، فتلك قدرات الخالق، وأنا أضعف من أن أقرر شـيئا لنفسـى واجتـازه، والا ما الذى يجبرنى على الاسـتمرار معـك كل هذا الوقت، محتملا سخافاتك المستمرة، الحب دائما يكون بين طرفين يقفان على نفس المسـافة، والعاشق ليس الفانوس السـحرى كل مهمته فى الحياة أن يلبى الرغبات، حتي وإن كانت تلك المهمة الشـاقة مشـروعة، فماذا ستقدمين انت؟

لست واحة تلجأين إليها كلما استبد بك الألـم.. أو عندما يحل عليك التعب والاختناق من رياح الخماسـين.. كنت ازعم أن هناك أشياء بيننا يصل فيها الود من أقصر الطرق وأيسـرها.. ورغم ملاحظتي المسـتمرة بانـك تأتيـن إلىّ عندمـا يكون هناك ما يـؤرق ذهنك أو يشـغل بالك أو تحاولين سـد بعض من وقت تسـرب إليه الأرق والملل، إلا أننى كنت أوعز ذلك لأسـباب أخرى شديدة الصلة بالاحتماء أو الاحتواء، وليس الحاجة المجردة، أو كنت أصبر نفسى وأطيب خاطرها، اسمحى لى أن

أقول كنت اخدرها واغيبها عن واقع تنبأت بفواجعه، وحاولت كثيرا ألا أصدقه، الآن ثبتت صحة توقعاتي.

انــت امــرأة اخطأت طريقهــا، كان اولى بك أن تبحثي عن شــخص خــارق يســتطيع تلبيــة طلباتــك التــي لا تنتهــى، أنت لســت فــى حاجة إلــى رجــل، انتي فــى حاجة إلــى مول تجــارى به عشــرات المحلات : مجوهــرات، ملابس، احذية، وجبات ســريعة، ولا ضرر من بائع فشــار مياه غازية، ودار عرض سينمائي للأفلام التافهة.

لم تكن كلماتك التي شــبهتنى إياها بالغرور والتكبر هى القشــة التي قصمت ظهر البعير.. فالظهر قوســته أفعالك، وتوالت انزلاقاته التي لم تتوقــف بفعل اســتفزازاتك المتكررة.. كنت احســب فيك عقلا راجحا ودماثــة أخــلاق راقية، لكــن افعالك فاقــت كل اللياقة واللباقة وحســن التصرف، انت دائما تطلبين الاشياء الخطأ فى الأوقات الخطأ بالطريقة الخطــأ. والمربك أنك لا تخجلين من طلبها وتظنين انها حق اصيل من حقوقك.

ترغبيــن فــى الرحيل، وتطلبيــن الاذن فــي الذهاب، وهــل مطلوب مني أن أوقع بموافقتي علي رحيلك، فليكن، اوافق دون شــرط أو قيد، واتنازل عن كل متعلقاتي لديك وهذا اقرار مني بذلك، أخشي أن تكون محاولــة رخيصة للتفــاوض والتراجــع، فنصيحتي الاخيــرة ان تنطلقي فــكل الأبــواب مفتوحة تصحبك الســلامة، انتــي يا عزيزتــي لا تريدين الحب، انتي وبمنتهى الصراحة ترغبين فى رجل ينفق عليك.

لست مهراجا هندى، ولم أعاملك يوما على أنك محظية هندوسية، فلماذا هذا الانحدار فى التعامل، والسوقية فى طلب الحاجة، حاولت قــدر الإمكان أن أرتقى بك، وألا اقترب من تلك المناطق التي قد تعلق

بثوبـك أى شـائبة، لكنـى أراك دائمـا تشـتاقين للسـقوط، وتغاليـن فى طلباتك، وأنا لا مانع عندى من تلبية كل ما ترغبين فيه، ولكن لى سؤال واحد، ماذا سـوف تقدمين نظير تحقيق هذه الرغبات، حاولت كثيرا أن اعاملك كأميرة وحبيبة، لكنك كنت تصرين دوما بأنك عاهرة، وتقاتلين على أن يكون الدفع مقدما.

(28)

ديكتاتور شرقى

أحيانا تحاكمني..بقوانين باطلة ومجحفة، تحصرنى فى محيط محدود.. أتلفت فى المكان بحثا عن منفذ عن مهرب أو حتي هاوية.. لكن كل ثقوب الدنيا تفضى إليك.. سئمت القيود والقوانين، والإرشادات المدرسية، أحاول الفرار بعيدا، لكنى لا أستطيع.. تنفذ داخلى وتحكم قبضتها على مفرداتي ولغتي، فأجد نفسى لا أتكلم بل أسبح فى عالمها وأذوب حتي أفتت. يا ليتك كنت مهراجا هندي أو حتي تاجر ايراني يبيع السجاد، انت ديكتاتور شرقي متخلف، يهوي اقتناء النساء ويرفض أن يدفع ثمن متعته، وعندما تنتابه حالات الملل يقرر أن يبيعهن بأغلي الأثمان، وربما يقايض عليهن بآخريات.

مازالت عيناك تحاصرنى.. ترقبنى.. تتعقبنى.. تتلصص على، تعد أنفاسى، وترصد كل تحركاتي.. تحدد لى الإقامة الجبرية فى محيطها، وترسم الاتجاهات التي أرنو إليها.. تحاسبنى إذا أخطأت، وتعنفنى إذا جنحت، تعاملنى وكأننى طفلة، تحتاج إلى تهذيب وتأديب، تفرض على شروطا جائرة بعدم التحرك، والتجوال والنظر إلى أشياء أخرى

غيرهـا، تعقد معى اتفاقا تحتكر به نظراتـي وإيماءاتي، اتفاقا يتجدد من تلقاء نفسه، دون الرجوع لموافقتي.

لا تغضب من كلماتي، فعشقك أفقدنى خصوصيتي، وجعلنى امرأة بـلا هوايـات، بلا صداقات أو أماكـن خاصة أخلو بها مع نفسـى، فكل مواعيدى إليك، وكل ضحكاتي معك.. حتي تحولت حياتي إلى سجن كبير أنت فيه الأسـوار والسـجان والجلاد، فمتي يكون العفو الصحي؟ ومتـي أوفى مدتي؟ اشـتاق أحيانـا للصراخ بصوت عالـى، وللضحك بهيسـتيريا دون أن تحاسـبنى عينيـك وتقول لى فى لهجـة حادة وكأنك معلم يكره تلميذه أخفض صوتك حتي لا تتعرض للعقاب.

أعذرنـى أن قلت أننـى مللت روتينك وعاداتك السـيئة التي ضاقت بهـا حياتـي وأصبحـت لا اطيقهـا ولا اطيقـك، فـلا يمكننـى احتمالها وممارسـاتها كل يـوم دون اجازة أو فسـحة.. فالاجازات حق مشـروع تنـص عليـه مواثيق حقوق الانسـان فى كل بلـدان العالـم، وتكفله كل مواثيق منظمات العمل الدولية والمحلية.

اسمح لى أن أعلن عصيانى وتمردى على عينيك.. وأن أتطاول على كل قوانينـك الجائرة، وأطالب بحقى فى القصاص منك على سـنوات عقوبتـي التـي قضيتها دون تهمـة أو جريمة، وأن أتحـرر من عبوديتك، وأتخلـص مـن كل التماثيل التي اجبرتنـى على عبادتهـا، وأن أحطمها تحـت قدمـى، وأجعلهـا ترابا وأحجارا انثـره فى عينيـك والقيه عليك، فمـا أنت إلا وهما صغيـرا تافها صنعه ضعفى وقلة حيلتي، أسـتطيع أن أسـحقك فى أى وقت.. فأنا الذى صنعتك، اسمح لى أن أفضح عينيك تلك التي اسـتباحتنى، وغررت بى، وأن أعلن للناس بأنك ديكتاتور لـم تمنحنى يوما ممارسـة الحب بحرية، وانك كنـت تقوم باغتصابى يوميا

ودون شـفقة، أسـمحي لى أن أنزع قيودك التي ارهقت معصمي، وأفتح حدودي المغلقة، وألغـي كل الاتفاقات الذليلة التي عقدتها معي رغما عني وتحت تهديد السـلاح، وأسمحي لى أن أتخلص من سجنك ومن قبضة عشـقك، واذا كنـت أنا عاهرة كما وصفتني فلمـا لم تدفع حقوق الاسـتغلال، ورضيت علي نفسـك أن تكون قوادا يسـتبيح عرق النساء ويحتكر جهود لياليهن الحمراء.

(29)

ســـــلافـــا

لـم يكـن بكائى حينها، لأننـى افتقدك للأبد، ولـم تكـن تلك الدموع التي سقطت من عينى دليلا على يأسى وضياع حلمى، ولا لأن نافذتك التـي كانت تشـع هواء صدرى سـوف تغلق للأبد، وليـس لأنى راهنت علـى حبك بـكل عمرى فهنت وهـان عمري!!.. ولكـن لأنك اخترت أقسـى النهايات المحتملة إيلاما وتعذيبا لي.. كنت أدرك حجم الفروق بيننـا، وكنت أعشـم نفسـى دائما، بأن الحـب يصنع المعجـزات، رغم يقينى باسـتحالة العلاقـة، لكنى كنت أتخيل ذلك، بـل كنت حريصاً أن أوهـم نفسـى طـوال الوقـت.. وكانت كلماتـك تذيب هذه المسـافات الوهمية التي صنعتها ظروفى التعيسة.. كانت النظرة فى عينيكى تقوينى وتصلبنـى.. لا أهاب أى شـئ.. كنت عملاقا بحبك.. والآن لا مرسـى لى ولا شطآن..

كان يمكنـك أن تواجهينى بكل أسـبابك الملفقـة والمنطقية.. لا أن تجعلـى فارس أحلامـك المنتظر، يوصـد أمامى أبـواب الرحمة.. هل أحبـك مثلـى، وضفـر حياته فـى خصلات شـعرك؟ وبنى مـن عينيكى

قصور الحياة ومفردات الحكمة، من الظلم يا أميرتي أن أسهر الليل أنا، وتعطيه هو قبلة الصباح..

كنت اسـتطيع أن اخبـره بما دار بيننـا، ولكننى آليت على نفسـى أن انزلق فى هذا المستنقع، ألم تجدى وسيلة احقر من تلك، من أن تجعليه يوصد الشـرفة التي شـهدت رضوخك لرغباتي وجنوني.. كنت سأقدر ظروفـك، وربما كنت ابـذل قصارى جهدى فى ايجـاد مبررات منطقية تعفيـك من الحرج، أعلم أن ظروفـى الصعبة لن تتح لى الفرصة للتقدم أكثـر مـن ذلك، ولـم اخفـى ذلك عليك فـى يوم من الأيام، ولـم أسـعى لاحراجـك مع الآخرين، ورغم أننى كنـت انتظر نهاية العلاقة فى وقت قريب جدا، لأن من تمتلك مواصفاتك لا يمكن بأى حال أن تنتظر على رصيف الفتيات شخصا عاديا مثلي.

ألـم تكن هناك نهاية أفضل من تلك النهاية؟.. ألـم أسـتحق بعضا من الاحتـرام والتقدير؟.. لقـد أغدقت عليك كل الاحتـرام وكل التقدير.. هـل تذكريـن انتظارنا طـوال الليل خلـف النوافذ؟.. والدقـات الثلاث التـي كنت أطلقها على نافذتي.. فتردين بمثلها، فيخفق قلبى، وتفتحين النافـذة وتفتحين الدنيا.. كان وداعا فقيرا مهينـا.. لم يرق لرقتك.. كما أننـى لـم اقتحـم حياتك ولـم افـرض نفسـى عليك، كانت هنـاك علاقة حميميـة بيننـا، فلم أكـن اتخيل أنـك حبيبتي، أو اننى كنـت ابنى قصور وحدى، بل شـاركتنى كل شـيء، نعم كانت هناك علاقة بيننا ولـم التقى بـك مصادفة فـى ترومای السـبتية حتـي تعاملينى بهذا الشـكل المهين الذى يعامل به بائعو النعناع فى المواصلات العامة.

لازلت اذكر كلماتك وهمساتك وشفتاكى التي استبحتها وارضعتها الحـب قطـرة قطـرة، ولـم ابخـل عليك بعواطفـى، فلماذا هذا السـلوك

المشين الذى يسيئ إليك، مازالت رائحة أنفاسك تسكن وجداني وترسم لي الطرق السير ومحطات الانطلاق.

لم يكن بكائى حينها.. لأننى لست جديرا بك.. أعلم نقاط ضعفى جيدا.. وأعلم مقدارك، ولكنى كنت أعشم نفسى عندما تحن ساعة الفراق، أن أكون جديرا بها.. لا أن أطعن فى قلب لم يعرف شيئا سوى عشقك..

(30)

مــانـــــدو

فى لحظات الصباح الأولى، عندما تدب القلوب فى سعيها الدءوب نحو الرزق والعيش والحياة، تختلط فى نفسى أصوات الصياح القادمة مـن بعيـد لتضمد جـراح الأمس، تروى ظمـأى المسـافر عبر رحلاتك الطويلـة، وتذيـب من علـى صدرى جبـال الملح والغربـة، عندها فقط تغرد الطيور وتعزف الأصوات تلك السـيمفونية التي طالما انصتنا إليها طويلا..

تأخـرت كثيـرا، واكتفيت بالكلمـات حتي فضح أمـري، وكان علي اسـكات تلك الافواه التي انشـغلت بسـيرتي وحكايتي، وتفرغت انت بالمشـاهدة والانصـات دون أن تفعل شـيئا، هـل كان يرضيك أن اظل مرهونـة تحـت مقتضيات الظـروف التي لـم تنصلح ابـدا، وكان يومي يبـدأ على جرح لم يندمل.. ولا تطيب آلامه، مرت سـنوات طويلة فهل أتممـت قصة من بعدي وكللت بالارتباط، أم مازلت في رحلة التكوين المستعصية، هل كان يرضيك أن انتظر كل هذا الوقت؟

اصبحت الأيام مسلسـل من الانتظار، لا يقطعه سـوى التفكير بأمل العودة والتلاقى مرة أخرى، تصعب الأمانى وتستحيل فى زمن البخل،

لكنى لم افقد الأمل فى رؤيتك يوما ما، وعشت على الذكرى والانتظار ومرارة الفراق، ولم يعد لى سوى الكلمات التي اطرحها كل صباح على نافذتي علها تجيب عن سؤالى المتكرر، هكذا يبدأ يومى وينتهى اسئلة لا تنتهى واجابات لن تأتي، وانت في غربتك الاختيارية تدخر الاموال والاجهزة الكهربائية وكثير من العلاقات.

كنت أعلم أن الحياة دونك سوف تكون موحشة وبالغة الصعوبة، لكنك لم تترك أي خيارات أخري انتظرت صباحا قادما من بعيد ربما تكون زفة العودة الأخيرة، ادمت النظر بعيدا ربما ارى طيفك يقبل على فرحا بشوشا كعادته، لكن الانتظار طال به الأمد، ولم أعد اقوى عليه، بعدما فترت عزيمتي وانهكت قواي..

حاولت ادفع التهم الملفقة والظالمة التي تحاك حولك، وأمنع سهامهم المنطلقة نحوك، والتي لا هدف لها سوى النيل منك، لكنى فشلت فى اقناعهم بأنك على صواب..وبأنهم ملفقون كاذبون مخادعون، لم يمنحونى حتي فرصة لالتقاط أنفاسى، وتجمهروا حولى ورفعوا اصواتهم حتي لا يسمع صوتي أحد.. وكان سؤالهم المتكرر : اين هو، ولماذا لم يأتي؟

قلت لهم أن عيناك اللامعة تزداد بريقا عندما يلقى القمر ضوئه فى مقلتيها، فكذبونى، وأن شفتاك تبتسم عندما تلقى عليها الحياة تحية الصباح.. وأن ما تلوكه الألسن افتراء وبهت واجابات ضالة لأسئلة لقيطة ومتسولة تحاول القصاص منك دون سبب.. لكنهم كذبونى ونهرونى ووصفونى بأننى خارقة كاذبة، تبتدع أساليب جديدة لتمارس من خلالها الرذيلة، اعتبروا أن حبي لك وانتظاري الطويل محاولة لاخفاء جريمة بشعة.

لـم أجد غيـر الرضوخ بعدمـا حوصرت واغلقوا فـي وجهي أبواب الرحمـة، والقيـت علـي الاتهامـات الباطلـة، فجـاءت موافقتـي لـدرأ الشبهات ودفاعا عن كرامتي التي تناسيتها في زحمة الدفاع عنك وتبرير غيابك الطويل، شـغلتك أمور الدنيا ونسـيتني، وعندما حاولت تضميد جـراح الأيـام، فتحت في قلبي جرحا كبيرا، أعلـم انك الآن تلهو بعدما اصبحت ذكري، لكنك ستظل أول وآخر حب.

(31)

وعــود طــائــرة

ظننت أن جروحى اندملت، وصارت مع الوقت وشـما على الجلد يذكرنـى بتلك الأيام البعيـدة التي رحلت بين الحسـرة والندم، ودربت نفسـى طويلا على طى هذه الصفحة ونسـيانها بكل ما فيها من لحظات جميلة وما أكثرها وأخرى حزينة وكانت شحيحة جدا، فقد ألمنى البعد وقلـة الحيلـة فى اعـادة المياه مـرة أخرى للسـريان، ورغـم محاولاتي اليائسـة للنسـيان، فإن هواجسـى كانت تحرضنى دائما على الانغماس فى التفكير بك حتي يأخذنى الشـوق ويبحر بخيالى بعيدا، فتترامى أمام الصور والمواقف، ولا امنع نفسى من الحسرة على ما فات.

مـرت الأيـام، ولا أدرى كيـف مرت، بعدمـا أهلت نفسـى للرحيل المبكر، وبدأت فى كتابة نهايات السـطور لحكاية قصيرة انتهت سـريعا علـى غيـر ما كنـا نتوقع، وسـط دهشـة الجميع مـن انتهائهـا المفاجئ، ورجعـت اوصـد تلـك النوافـذ التي كانـت مفتوحـة علـى مصراعيها، ليحل الظلام ويفرض قتامته على كل ممارسات الحياة، ويسدل الستار على الحكايات والهمسـات والإشارات، وأصبحت بين ليلة وضحاها ذكـرى، مجـرد ذكرى تهيل الألـم حينـا بعد حين وتعتصـر فؤادى الذى

مازال ينبض بحبك حتي تلك اللحظة.. أحيانا كانت تبتعد هواجسي وأشعر أنني شفيت من هذا الداء المستعصى، ثم افاجئ بنوبات متتالية من التفكير، اعلم أن الحكاية انتهت، لكنها تركت شجنا جميلا استدعيه كلما زحف الشوق يدغدغ فى مشاعري.

تأخذنى الأيام بعيدا، وأحاول جاهدا ترتيب علاقة أخرى ليس بغرض نسيان حبك الذى يسكننى، وانما لكى أرحم نفسى من نوبات التفكير التي تزلزنى وتستبيح حياتي، وللأسف كانت جميعها تفشل قبل أن تبدأ، حتي كان اللقاء العابر الذى تلاقت فيه العيون، وأعاد الحياة من جديد، ودبت الدماء فى العروق التي تراخت واستسلمت لمصيرها، ليفتح جرحا قديما تمنيت أن يوصد للأبد، ورغم أننى تحاشيت عن قصد التواجد فى تلك الأماكن التي يمكن أن اراكى بها، جاءت أقدارى لتحبط مسعاى، وتعيد الأمور لنقطة الصفر من جانبى على الأقل.

كدت أغرق فى فرحتي، أقول كدت، لأننى أثرت السلامة حتي لا أسبب لك جرحا آخر جديداً، ملتزما بكل الوعود التي قطعتها على نفسى فى لقاءنا الأخير، والتزامى لك بأننى لن أحاول أن اعترض طريقك مهما كلفنى الأمر، لكن صدفة تسوقها اقدارى أمر لا شأن لى به، أخيرا وبعد طول انتظار ها هى الدنيا تفتح ذراعيها من جديد، فرحت وكأنى طفل وجد ضالته، حتي أنى خجلت من تلك الفرحة التي افقدتنى توازنى مرة أخري.

هل عوضتنى الدنيا عن صدفة، حاولت صنعها وتدبيرها، وفشلت، ما كان أبعد من القرب، وأقرب من البعد إليك، فهى مسافات لو سطرتها فى كلمات لأفسحت لنا طرقا تخطو عليها مشاعر العاشقين، أخيرا انطلقت الكلمات التي كانت فى القلب تتأجج، والتي سجنت

بفعل البعد، فما منعنى عنك سوى شجاعة نقصتنى ومغامرة احتسبت فيها الخسارة أكثر من المكسب.

والآن.. لم يعد للكلام معنى، بعد أن التصق الندى بالوردة، فهل آن الأوان لنعيد ترتيب الأشياء التي شتتتها الأيام. ان الوعود فى العشق بالهجر قرار بالانتحار وتسفيه للمعشوقة، وهاأنذا اتراجع واسحب كل الوعود التي الزمت بها نفسى وابرئ منها قلبى، حتي ولو كانت ضد رغباتك.

(32)

رهـــان خـــاســـر

راهنت على كل الأشياء وكانـت دائما توقعاتـي مخيبة لطموحاتي وتصوراتي، وخسـرت ما لـم يخسـره أحد.. لكنى أبدا لـم أخسـر رهان عليك، فقد كنت دائما تفاجئنى بأشياء لم أكن اتوقعها.. كانت عشرتك معى مليئة بالمفاجآت السـارة وغير المتوقعة، والافعال الشـيك التي ما كنت تخطر ببالى يوما والتي ارضتني.

ربما هذا كان يجعلنى ابالغ فى توقعاتي بأنه لن يصاحبك سوء طالع فـى أى وقـت مـن الأوقات، إذا مـا أتيت وطرقـت باب قلبـي المفتوح لـك وحدك، ورغم قرار الانفصال بالابتعـاد إلا أنك ظللت كل الوقت تسـكنني ولـم تبـرح مكانك ابـدا، كنت أغالى بل شـئت كنـت اتحدي قلبـي وكانت تأتي النتائج مربكة وملهمة في ذات الوقت، لأقتناعى بك وإيمانى بك وثقتي اللامحدودة، ولكى أثبت لنفسـى بأن هناك أشياء لا يمكـن الرهان عليها، حتي ولو كانت خرافية وإعجازية لم يسـتطيع أى إنسان تجاوزها.. وكانت تأتي خيباتي تباعا..

كنـت مدفوعة إلى التحدى والمواجهة بقـوة مهولة لا أدرى من أين استمديتها، وكنـت راقيا وبديعـا إلى أقصى حد، بالغـت كثيرا وتمنيت

أن تخفـق ولو مـرة، ليس طمعا فى انتصار زائـف، لا اتمناه ولا ترتضيه مشاعري، ولكن لامتثال الأمور، فمع الاستثناء تكتمل القاعدة نضوجا.

كانت الليالى طويلة ثقيلة وبطيئة، لم تمر بسـلام، بل تركت ما تركته من أمراض والام وحسـرة.. مازلت أعاني منها حتي الآن، لست افضل حالا مما سبق، على العكس، فأنا الآن اقاسى الامرين من تلك الاشياء التي تركت بصمتها على بدنى وعقلى وقدرتي على الاحتمال..كم كنت اتمنى الموت والخلاص من حياتي تجنبا لهذا العذاب الذى فاق حدود البشـر، الا أن سوء حظى لم يمنحنى هذا الاسترخاء الأخير، وكأنه كان مقـدرا علـى أن اعيش ربيع شـبابى محرومة منك بقرار منـي لا احتمله ولـم يحتملني، وأن ابقى ما تبقى من حياتي اتحسـر واتأسـف على تلك العذابـات التـي نالت منـى واسـتحكمت، وربما هذا ما يجعلنى اسـأل نفسـى ما بين الحيـن والآخر، لو عـادت بى الايام دورتهـا الاولى، أى الطرق التي كنت اسـلكها، هل هو نفـس الطريق الذى جرعنى كل هذه المآسـى، أم أننى كنت سـوف اترك لنفسـى براح الحياة ورغد العيشـة، قطعا كنت ساختارك أنت.

سـاورني الشـك كثيرا في عدم تحملي مشـقة البعـد والهجر، كنت أدرك أنك آخر الحكايات الصادقة فى الزمن الكاذب.. وستظل ذكرياتي معك هي لحظتي الراسـخة وأوراق اشـجارى اليانعة وشمسـى التي لا تغيـب.. لم أتكيف مع واقعـي الجديد ولفظتني كل الاجـواء المحيطة بـي، لم يكن الأمر هينا، بل كانت التعاسـة تفرض اشـعتها علي نافذتي كل يـوم، وحاولت أن اروض مشـاعري التي اسـتبحتها وأجعلها تابعة لـى، تنفذ تعليماتـي وترضخ لى ولأوامري.. حاولـت أن أقودها حيث

أشاء ووقتما أريد.. حاولت أن أبدل موقعي.. لكنى فشلت.. ويبدو أنها تنصاع لك بشكل يصعب تغيير مساراتها.

الآن اتنصــل من كل عهودي ووعودي وأعلن الرجوع دون شــروط مسـبقة، واقــدم دون خجل اعتــذارا يحفظ لــك ماء وجهــك، ويلزمني باتباعــك والخضوع لــك، وأقر أن السـير وراء ظلك يمنحنــي الكبرياء والتميز..

(33)

امرأة استثنائية

اغتربـت حياتي عند لحظـة الفراق.. فى ذلك اليـوم الجميل، الذى سـاقته لنا الاقـدار.. رويت ظمأى من مياه عيونك وشـبعت ورضيت.. وملأت عينى بنظرتك الطفولية البريئة الهادئة التي تتقطر عشـقا.. كنت أشعر بيديك التي لم تلمسنى وهى تربت على كتفى، قلقك المستمر فى خطواتـي اللاهثة.. عيناك الزائغتان، شـفتاك اللتان كانـت ترقبنى وتقرأ حولى ايات من القرآن.. كان يوما جميلا مازلت اتذكر تفاصيله واحفظها عن ظهر قلب.. كنت اردد ما بين نفسى : سيطول غياب الشمس والقمر والنجـوم.. مـا اقسـى العقاب عندما احـرم منك.. وصادفـت الظروف أن نتجـاذب الحديث فـى اليوم التالى، وآه من ذلـك الحديث، كم كان حميميـا ودافئا، تكلمت كثيرا، وفتحت قلبك كعادتك، واحسسـت بأن السـماء تمطر تمرا وقرنفلا.. تسـربت عبر حروفك آهات كثيرة، أدمت قلبـى العليـل، ودغدغت أحاسيسـى، لكنى تحاملت على نفسـى، كان حديثك اشبه بالموت اللذيذ والبطئ.

سـافرنا بعيدا كعادتنا ولـم تلمحنـا عيون الناقمين الحاقدين ، تجولنا فـى الشـوارع وارتشـفنا الحـب ، تسـكعنا وتصعلكنـا، وغنينـا أغانينـا

الجميلـة.. ارتمينا على الأرصفة الناشـفة فلانت.. وناجينا العشـاق فى عشـقهم.. كنـا جسـرا للكلمـات التي ظلت حبيسـة الصـدور.. وأقمنا موائد عشق للمحرومين.. خلت الشوارع من المارة إلا من همس قلبك ودقاتـه.. عندمـا كانت تشـتد وحدتـي وتهزمنى ارادتي كنـت اجتر من كلماتك قوت عزيمتي فأنهض من جديد.. وأطرح السـؤال المستحيل، كيـف تكون الحيـاة دونك.. ولماذا كل هذه الوجـوه دون وجهك وهو مـلاذى وسـطوتي ونفـوذي.. هل حل العيـد على ناصيتك.. لـم أره يا حبيبتي.. اليوم هو عيدي.. اشـتقت إليك.. اشـتقت اليك..لا تسـتطيع مفرداتـي العاجزة وصـف الحيرة التـي انتابتنى والقلق الذى اسـتبد بى فى غيابك.. كما هى الكلمات بائسـة عندما تعجز عن تدقيق المشـاعر وضبطها وإخراجها فى جمل حقيقية..

كانت حسـرة ويتما ووحدة وخوفا.. نعم كنت احيانا أشعر بالخوف وقلـة الحيلة..أحيانا كنت اهرول إلى الشـارع كى احدثك بصوت عال دون رقيب أو محاسـبة.. كم من الكلمـات القيتها فى صدرك، وكم من دموع ذرفتها..كنت بلا قلب ينبض أو هكذا تخيلت.. إذا اردت الرحيل فعليك أن تعيدى لى شريانى ووريدى وقلبى وعينى وفمى ومشاعري.. اذا اردت الرحيـل فأنـت تعلنيـن بذلك عـن وفاتي.. يا اعظـم امرأة فى التاريـخ.. يـا اجمل بنـات حواء.. يا انقى شـيئ فى الوجـود.. احبك.. احبك.

يـا قارورة عطـرى التي لا تنضب ولا يجـف رحيقها.. كونى عبيرى الذى لا ينطفئ ويشـع حولـى التوهج والحيوية.. دونـك أضل الطريق وأتوه بين غياهب اللحظة ومفردات الصدف بحثا عن مرفأ أو مرسى أو عنوان.. فى غربتي أشعر أن كل نساء الأرض يشبهونك، يتصفن ببعض

من سماتك وملامحك، يحاولن جاهدين فى عبث أن يلحقن بقافلتك، فيبدين فى المؤخرة لا يستطعن اللحاق أو القرب البعيد منك.. فترفقى بهـن.. هناك اشـياء مازالـت بيننـا لـم يمحها الزمن ولا فتـرات الغياب.. تتجـدد عند كل لقـاء.. وكأنها تلقى فـى راحتي ذكرياتـي الجميلة.. لم تبرحى خلجات تفكيرى حتي عندما كنا ندفن رءوسـنا فى مياه البحر.. كانت عيناى ترقبك..مازال عبيرك يهفو على نفسى بين الحين والحين، ومازلت صورتك وعيناكى اللامعة أرثى الذى تبقى لي.

(34)

رجل استثنائي

حاولت أن أسرق من دواوين العشق كلمات الحب، كى أزفها إليك، افتش عن معان جديدة لم أرددها، أو جمل لم اسطرها فى رسائلى، لكنى فوجئت بأنهم جميعا يسرقون أشعاري.. حتي أصبح اسمك على الألسن والأفواه اسطورة.. نفد الورق والقلم.. فلم أجد غير الجدار كى اروى له الحكايات.. حتي اتهمنى الناس بالجنون والهذيان وشككوا فى قدراتي العقلية.. فبدأت أردد عليهم أن مأساتي هى عجزى الابدى عن وصفك..

يا قاتلى.. لا تحرك خنجرك القابع فى احشائى.. لا اخشى الألم أو النزيف.. فقد تعودت الألم وغرقت فى دمائى مرارا.. لكنى أخاف غروبك عني.. فتعالى وارقص على اشلائى ، فدق الطبول والمزاميز يعيد تكوينى من جديد.. ينضج نومى مع أحلامك.. ويتسلل طيفك إلى فى عتمة الليل ليخفف أرق السهد..

أكليل من الريحان أنت.. وتاج من الفل والياسمين يتوج كل العاشقين.. ظلت أمواجى المستكينة تعانق الرمال فى هدوء حتي أتيت فبدأت أعاصير حياتي تدب فى شريانى المتعب رياح الحب.. يكفينى هذا القدر من الحب فأشواقى ما عادت تحتمل المزيد.. يا

ثورتـي الكامنة فى الضلوع لا تنفجري.. لـم تحن بعد لحظة ضياعي.. يـا امبراطور مملكتـي يكفينى نظـرة كل مائة عام، فالضوء السـاطع من عينيك يغشى عيون الناظرين.. يا أفضل تواريخ حياتي.

علـى خطـوط يـدك.. مكتوب تاريـخ ميـلادى ووفاتي وسـيرة حياتي، انتصاراتي وهزائمي.. ضحكاتي ودموعى، على خطوط يدك سـر وجودى فـلا تقبـض راحتيـك فـى ليالـى الشـتاء فالجليـد معـك دفء لا ينتهـي.. تذكرتك.. عندما كنا نسـرق من ايامنا لحظات البقاء والطمأنينة.. ونرتشف من حالات الاندهاش استمرارية وتواصل..نكتشف الطرق الخالية حتي لا تجرحنا نظـرات الاخرين، فنقطعها ذهابا وايابا نتخفى من العيون المخبأة، ونلون الأرصفة بما يتساقط من شفتيك ومقلتي عينيك فتفضحنا بقايانا..

ترتسـم الايام أمامي وتتجسـد اللحظة.. تفترش مسـاحات الشوف وتدغدغ احاسيسـى، تعيد لمشـاعرى نبضها الغائـب والمهمل، تتراكم الصور والمواقف وكأنها تسـتعيد عبقها القديم، يداك التي كانت ترتبك عندمـا الامسـها.. ابحـث عنهـا فى ظـل الكلمات فـلا اجدهـا، فأعيد مـن جديـد البحث عنهـا حتي إذا ما تلاقت وتشـابكت سـقطنا فى بحر العسـل.. تتلعثم الحروف وتتوه العبارات.. تستولى اللحظة علينا لتعيد اكتشـاف الحكاية التي لـم تبدأ، والتي انتهت نتيجة الخوف المسـكون بأعماقى، فلم اعبأ بمخزون الشجاعة التي كنت تمتلكه..

تذكرت تلك الرقصة التي لم تكتمل وتلك القبلة التي اغريتك بها.. هل تذكر ماذا قلت.. «هناك اشـياء إن لـم نفعلها ظللنا العمر كله نأسـف عليهـا». فارتميـت فـى حضنـى وارتميت فى حضنـك وتعانقنـا وكأنه العناق الاخير.. كانت عينك تحتوينى وتستوعبنى، تلقى على الكلمات الجميلـة تشـجعنى وتقوينى..تذكـرت عندمـا كنت تقتحـم احلامي.. وتقلق نومى وتستبيح كل.. شيء.. وتمارس معى العشق اللذيذ..

(35)

داليـــــدا

لم نوفق فى اختيار الوقت المناسب لبدء تلك العلاقة القلقة التي لم نجن منها سـوى المتاعب والمشـاكل وتدخلات البعض.. كنا نعى منذ البداية بأننا سوف نلقى كثير من اللوم، ويبدو أنك تناسيت هذه الحقيقة مع الوقت، وكنت قد حذرتك بأن المستقبل سيشهد ثورات غضب من يحيطـون بنا وسـيحاولون الوقيعة بيننا، وأن الأمر ليس سـهلا ولن يمر بهدوء، وكانت ردودك الدائمة بأنك تدركين ذلك وأكثر منه، لكن الأيام تثبت عكس ذلك!

لسـت المهزوم الوحيد فى هـذه المعركة.. اعلم ذلـك جيدا، فأنت ايضـا تجرعتي ويلاتها، وحتي اكون صادقا ربما اكثر منى، ولكن عندما صرحـت بذلـك كنت اصف حالتـي.. وما كان يجب عليـك ان ترددى «بأنك الخاسـرة الوحيدة» فهذا يحمل ظلم واعتداء على مشاعرى التي فاضـت وما جمحتها يوما عليـك والمواقف كثيـرة ولا داعى لأعددها عليـك، وإلا ما كنت وصلت لهذه الدرجـة، ربما كان موقفك اضعف، او انـك كنـت فى وقت من الاوقات مثار انتقـاد وتهكم من تلك العيون الزائغة التي تبحث عن ثرثرة هنا وهناك ولم تجد غيرك مرتعا لسـهامها

النافذة وعباراتها السخيفة، لكننا ايضا تقاسمنا العذاب بالنصف والألم والحسـرة كل حسـب نصيبه. فأنا ايضا تلقيت ما ضاق به صدرى، ولم احتمله.

لم يكـن يجول بذهنى القاء التهم عليك او تفريغ شـحنات الغضب حتي ابرأ نفسـى أمام الجميع، وادلل للبعض بأننى كنت ضحية، ضحية مـن؟ ضحيتك انتي؟ انت التي وهبـت لى الحياة من جديد، وهل يعقل أن اكتفـى بالتيمم والنهر ملء يدي؟ وماذا يفيدنى عندما اكسـب العالم واخسـرك، تـرى هـل يسـتقيم الامر معـي؟ واكـون بذلك قـد خرجت منتصرا دونك.

اخشـى ان ينتهى الامر بنـا الى الهاوية، وتكون منتهـى غايتنا الحاق الضرر بانفســنا والتشـهير دون قصـد او بقصد، ففى تلـك الحالة يكون الحاقدين قد نجحوا فى تشـويهنا وجرنا الى مستنقع الكراهية، وعندها لا نلـوم الا انفسـنا. أشـعر بأن عاطفـة الحب التـي نمت بيـن صدورنا وتشعبت تتحول إلى شوك وأرق يخنقنا ويشعرنا بالضيق والتململ.

لسـت الوحيـدة، بل كنـت شـريك بالنصـف، ودون ان نخوض فى تفاصيل سـخيفة، ضحيت وعانيت وتحاملت على نفسـى كثيرا، مثلك ولن اقول اكثر منك، واحيانا شـطرت نفسـى نصفين حتي اكون عادلا، وسـاقتنى قدمـاى إليك وانا اعـى تماما مخاطر تلك الخطـوة وتبعاتها، كنت اعلم كل شـيء، واحيانا كنت اسـأل نفسـى، هل يمكننى مواجهة تلك الأبواب التي فتحت أمامي. وكانت اجابتي القاطعة بأننى اسـتطيع ان أفعل أى شـيء شريطة ان تعى الظرف الذى نعيشه وما يقتضيه، دون ضغط او تعجل او اقحامى فى اشياء لا استطيع مواجهتها، فلست خارق للدرجة التي تجعلنى اقف أمام الريح لاواجهها وحدي.

نعم نحن الاثنان جريحان، بل اسمحى لى ان اقول دون خجل أنا الجريح الأول.. وأن لجوئى إليك كان بغرض ازاحة الهموم عن صدرى، ولكن للأسف تضاعفت وفاقت حدود احتمالى، وبدلا من التفكير فى ايجاد حلول لها، أصبحت متفرغا تماما لمشاكلك الجديدة التي لا تنتهي. تقولين ما لا تفعلين، وتفعلين ما لا تقولين، وكل ما يشغل بالك هو صورتك أمام الجميع.

(36)

عاشقة مهزومة

اقترب المشوار من نهايته أو كاد، ولاحت الأيام الاخيرة فدعنى استأنس بالذكريات أو ما تبقى منها وأرحل، لست الشخص المناسب، وأرى انك تضيع وقتك دون فائدة، فلا نفع منى ولا ضرر، هكذا كما تري بقايا عاشقة دونت قصصها على أوراق الشجر وصفحات مياه النهر، حملت الريشة والورق والمحبرة، لا.. لن أمكنك من قراءتي.. ولن أكشف عن كلماتي.. فحروفى تفضحني.. وتكشف عن كل علاتي.. اقترابك منى سيهدم كل صروحى الوهمية التي أتحصن بها وأختفى وراءها.. فأنا لا أملك مثلك عينين لامعتين تفيضان حبا وعشقا ودفئا.. ولا أملك قلبا ينبض على ضوء القمر، ويتهادى فوق السحاب ليستمد البقاء.. ولا تلك الابتسامة التي تحتضن الدنيا، وتفرش أمامها بساتين من الطمأنينة والسكون، أتيت فى الوقت الخطأ، ولشخص فقد كل سبل المقاومة، فلماذا الالحاح بتكرار المأساة مرة أخري.

كل ما أملكه قلب متعب مرهق، أجهدته التجارب المنكسرة وسنين الحياة الذليلة.. وليس فى صندوق ذكرياتي بطولة مشرفة، أو وردة باهتة، أو رسالة غرامية، أو لقاء لم يتم. ولا فارس أحلام.. فقد تخلصت

مـن بقايـا الماضي بحلوه ومـره، ولا أجيد فن الـكلام أو الحديث، فقد تعبت من الكلام وارهقنى الحديث، وليس لى مواصفات خارقة تلفت الانتباه، أو تسترعى الاهتمام.. فأنا امرأة مهزومة في كل المعارك الذى خاضتهـا، والتي لم تخضها، امرأة لـم تمتطي جواداً، ولم ينتظرهل قمر فى ليالى ناعسـة حالمة، ظللت العمر كله أبحث عن الوهـم، وما جنيت سوى الحسرة، ليس هناك ما يستحق العناء والمحاولة.

ارتضيـت فـى نهايـات العمـر أن أنـزوى فـى أحـد الأركان منتظرا نهايـة عادية لعاشـقة وهمية، بنت أحلامها على رمـال أكلتها الأمواج.. وكتبـت علـى صفحات الريح قصائد العشـق المسـتحيل بلغة كسـيحة ذليلة انقرضت مع الايام ومحت حروفها من كتب التاريخ والاسـاطير، يكفينى الآن تأمل ما حولى دون ابداء رأي.

لا.. لـن أكشـف عـن حروفـي.. فأنـا لا أملـك حروفـا ولا أملـك كلمـات.. وكل مـا داخلى طلاسـم ولوغاريتمات.. فدعنـى أذوب فى متاهاتي، فأنا عاشقة مهزومة أتت من أزمنة بعيدة، ويكفينى هذا الشرف العظيـم الذى اوليتنى إياه ، فقدومـك هو أعظم انجازات حياتي، أما أن ابـوح لـك وافتح خزائن أسـراري، فلن يكـون ابدا، لن افضح عشـاقي بالـكلام عنهـم، فالبـوح معـك خيانة لهم، ولسـت مسـتعدة أن افشـى اسـرارهم، الحكايات ولت برحيل أصحابها، وليس من حقي أن انبش قبورهـم بترديـد الحكايـات القديمة فهي ملك لهـم، يكفيني أن سـربت لك مفاتيحي ونقاط ضعفي التي اسـتغليتها، وضغطت من خلالها علي مراكز قوتي فأنهارت واستبحتني.

ارحـل عني واتركينـي وحدي، لم يبق لي سـوي ظـلال الحكايات وعبيرهـا في السـاعات الأخيرة، وليس من اللائـق أن تنزع عني آدميتي

لتكـون سـلوي رخيصة لقضاء الوقـت، اتري حينما انـزع عنك كنزتك وافضح مسـتورك، واجعل المارة يفترسـون النظـر إليك، فهل في ذلك شهامة أو فروسية، ليست في حكاياتي عظة أو دروس، وستفقد براءتها إذا خرجـت ولوثتهـا الاذان، واروي عني حكايتي للآخرين حتي يعووا أن الوفاء لا ينقضي برحيل المعشوق، بل أنه يبدأ في السريان.

(37)

شفايف باردة

لم تكن لى رغبة فى السفر والترحال وراء وظيفة تدر راتبا يتضخم عند نهاية كل عام فى بلاد غريبة بلا اصدقاء، حيث دفء المشاعر مفقود والعلاقات مشروطة بالمصالح، لم أرغب فى تحويل حياتي إلى «حصالة» نقود، اعتدت الحياة البسيطة، وكانت مطالبى قليلة تفى الحاجة، مجرد الحاجة، أحلامى معقولة، لكنها طموحة على المدى الطويل.. حتي عندما اخترتك من بين فتيات كثيرة، كانت حساباتي مرهونة ببساطتك، ولم أغال، وإلا ما كنت اخترتك..

إلحاحك المستمر كان وراء هذه الغربة القسرية، وجاء فرمان النفى الذى وقعتيه بدموعك الكاذبة، ودفعى دون هوادة أو شفقة للرحيل.. سافرت بحثا عنك حتي لا أفقدك بعدما زادت المشاكل بيننا ووصلت لطرق مسدودة لن تفتح إلا بالسفر.. كانت طلباتك كثيرة أرهقتنى، وزادت على طاقتي، وأشعرتنى فى بعض الوقت بالضآلة، وكانت مقارناتك الدائمة بالآخرين تؤلمني.. سافرت رغما عنى بتحريض منك.. وبوداع محموم بدعوات الرجوع محملا بالصناديق المغلقة

وقائمة من «الهلاهيل» وبعض الهدايا لخالاتك وعماتك وبنات جيرانك..

حاولت أن أشرح لك عدم جدوى السفر، لأن غيابك عنى لن يعوضه المال، ولكن يبدو أن غيابى عنك كان يعوضه أى شيء.. استسلمت لرغبتك بعد أن حاصرتنى عينيك وضاعفت من آلامى واحبطت كل محاولات الرجاء والتوسل بالبقاء، كانت أحلامك جامحة لا تقبل المنطق، فأطاحت بكل سنوات العشق والذكريات الجميلة، وكانت قرارك واضح وضوح الشمس، أما السفر وأما الهجر.. عبأت كل أحاسيسى ومشاعرى وسافرت مرغما.. أحمل حقيبة يدى الصغيرة، وبعضا من الذكريات المجروحة المذبوحة على صخرة عنادك.. ولفافة من الورق تحمل خطاباتك، وكلماتك المعسولة الفارغة من أى قيمة؛ وعباراتك عن استحالة الفراق والبعاد والبكاء على جسر التنهدات..

ما أدهشنى هو سيل الدموع الذى ألقيتيه عند وداعنا، وتساءلت ساعتها إذا كان سفرى يسبب كل هذا الألم الكبير المصحوب بشلال من الدموع.. فلماذا كان الاصرار على السفر ؟ ألست الآن بين يديك، فما الداعى للبكاء إذن.. هالنى كم الدموع التي سقطت من عينيك، أكثر مما هالنى كم الحزن الذى عشش داخلى عندما ابتعدت المسافات بين ذكرياتي وأحلامك البعيدة..

مازلت أتذكر قبلتك الباردة والتي كشفت عن نوع ردئ من أحمر الشفاة.. ورددت فى نفسى هل امرأة شفتاها ملطخة بمساحيق رخيصة، يمكن أن تنطق بالصدق.

فى الغربة عانيت كثيرا وفكرت مرارا فى العودة، لكنى كنت اتراجع فى آخر لحظة، فالأمر تجاوز المفهوم الضيق للقرب أو البعد، وأصبح

امتحان صعب لاثبات قدراتي على التحمل والعذاب، ونجحت بامتياز وتحول قلبي وعقلي إلى آلة حاسبة تراقب صعود الريال وهبوط الدولار، وتاهت التفاصيل الصغيرة والجميلة، وتحولت إلى عداد يثمن أى شيء، وفى كل مرة تتوسلين لى بالعودة، كنت احسب التكلفة جيدا، وان الحضور سوف يكلفني مبالغ طائلة، وبعد تفكير عميق أدركت أن عودتي مرة أخرى محالة، أما عن الزواج والارتباط فتكلفته هنا اقل بكثير، وارجو أن تتقبلي اعتذاري لك ولخلاتك وعماتك وبنات جيرانك.

(38)

الجوع والحب

فى زمن الشح، حيث الأشياء قليلة جدا، والندرة تجتاح أحاسيس الناس وتفيض.. وكساد العواطف ينتشر بوفرة..لا أملك سوى الكلمات الباردة وبعض من القصائد مكسورة القافية وعبارات مبحوحة نازفة يائسة.. وأنين وآهات بطول الأيام وعرضها.. فهناك أبواب مغلقة خلف حكايات حزينة وبطون فارغة، وبطالة وفقر، ورصيد كبير من الاحباطات والخيبات التي تتوالي في انتظام مستفز.. فى زمن الشح لا مكان للحب، حيث يجوب الشوارع وباء الحاجة والحرمان.. وتفتش الصبية في صناديق الزبالة عن ما يسد جوعهم، ويتراص الناس فى طوابير طويلة انتظارا لكيس من الخبز أو زجاجة لبن بلا صلاحية.

ولأنني واحدة من هؤلاء الذين يتجرعون كل صباح البؤس القادم إليهم مع اشراقات الشمس، كنت أشعر بالخجل من سماع كلمات الحب، ولم استطع أن انفصل عن واقعي المؤلم الذي يكتوي تحت شبح الفقر ونقص الاحتياجات الانسانية التي تميز الجماد عن باقي مخلوقات الله، لم يكن من اللائق عن اتكلم عن مشاعري الفياضة واحاسيسي الملتهبة بينما امعائي فارغة.

مازلـت بيـن النـاس أتجرع مـا يتجرعـون وأتنفـس ما يتنفسـون.. وأعانى ما يقاسـون..فماذا تنتظر من امرأة تقـف فى طوابير صامتة طلبا للاعانـة.. أنا فى حاجة لبيت يؤينى من تلك الأرصفة الرطبة.. لحصيرة مـن خـوص تفصل ما بين الطين وجسـدى النحيل.. فى حاجة لكسـرة خبـز تسـد الجـوع.. أو مـاء يـروى الظمـأ.. لحلـم اتدثر به مـن غضبة الايام.. أو أى شـئ يجعل العين تقيم النظر قليلا، لا أن تظل مكسورة.. فالحاجة كسـرت داخلي كل شـموخ العاشـقين وكبرياء المحبين، فلم يسـتطع اصفرار وجهي ونحالتي أن تظهـر قدر ولو ضئيلا من الاعتدال والوقوف منتصبة القامة.

عندما تتوافر هذه الأشياء أستطيع أن أحب وأعشق وأجرى وألهو.. وأسـهر الليل بحثا عن قمر أرى فيه وجهك.. وحينها سوف أردد عليك كلمات دافئة وعبارات رقيقة، وأنظم فيك أيضا قصائد حسنة القوافي.. ولـن يمنعنـى شـيء من التغـزل فيك ليـل نهار، وشـراء هدايا بمناسـبة ودون مناسـبة.. أما عدا ذلك فلا تنتظر سـوى كلمات البؤس والمعاناة والحسـرة من امرأة فقدت شـهيته للحياة والرغبة فى الاسـتمرار.. كان السـفر ضرورة لديمومة الحياة، شـفايفي ليسـت باردة، لو دققت النظر قليلا لاكتشفت أنها ناشفة معلولة.

الليـل يطول فى عتمة احزاني.. والوحشـة تفتك بي.. موشـوم أنت بقلبي.. ومصلوبة أنا على أعتابك.. مشحوبة كالعشب الجاف.. أتوسل قطرات المـاء.. لكن مواسمى الظمأة لا تسقط فيها الأمطار!! فى خيوط الفجـر نسـجت الحلـم.. وتعشـمت فـى الدنيا خيـرا.. سـافرت لبلاد الأخيار وبلاد الاشـرار وسـائر الامصار.. وراقبت خرير الماء وصهيل

الذكـري.. حصيت اوراق الشـجر.. لكن الجوع التهـم الصبر والقدرة علي التحمل.

فى زمن الشـح لا يسـتقيم الهـوى والحاجـة.. عندما ينكسـر القلم المكلوم لا يكتب إلا المراثى وعبارات التأبين.. فى زمن الشح لا وقت للحب، فالعشـق فـي زمن الجوع كبيرة من الكبائـر التي لا تغتفر وجرم أشد من القتل. في زمن الجوع يموت الشعر وتنتحر كل قصائد الغزل.

(39)

إيـــمـــــــان

من قــال؟.. أن نجمك بدأ يخفت، وأن بريق عينيك يمضى للزوال، وأنــك فقدتــي كثيرا من جاذبيتــك وأنوثتك وحيويتــك.. ليس صحيحا هذا محــض افتراء!!.. كلما يمتد بك العمر تزدادين حلاوة، ويكتســب قوامــك الصلابــة والاســتقامة التي تحــض علــي الاحتــرام والتقدير، ويصبــح كلامــك عســلا وتمــرا.. الأيــام تظهــر مفاتنــك المخبــأة وراء خجلك الأنثوي الرفيع الراقي، كما أنها تفصح عن معدنك الأصيل، أن نجمك بدأ يتلألأ أكثر وأكثر حتي راح يغشي العيون الناظرة إليه، فعندما يلمــع يظن النــاس انه النجــوم دون مبالغة، مازلت كما أنتــي مهرة عفية تجمح فى مضمار قلبى وتقفز حواجز احباطاتي، تسبق الريح وتخطف من فوق ســطح القمــر زهرة الحياة والخلود.. من قــال أنك امرأة عادية تتأثــر بعوامل الزمن ومرور الوقت.. ونشــرات الأرصــاد الجوية.. أنت امــرأة خــارج التوقعــات والاحتمــالات.. تملكيــن دائما الســحر الذي يجعلــك في الصفوف الأولي، والكاريزما الطبيعية التي تؤســر القلوب وتطيح بالافئدة، لفتاتك، نظراتك، همساتك، اجاباتك البسيطة للاسئلة

المستحيلة والغامضة التي يحتار الناس في أمرها. كلها هذه الأشياء تجعلك مرصودة بتلك النظرات الشريرة التي تحاول أن تعاقبك علي ذنب لم تقترفه يداك.

أن الحاسدين الحاقدين يفزعهم كثيرا أن يروا نضارتك وبشاشتك ورشاقتك، يحاولون التشكيك فيما تملكيه، يهولهم ما أنت فيه، فهم يعجزون حتي من الاقتراب أو اللمس أو التصوير، يتخيلون أن كلماتهم الصفراء سوف تنال منك وتضعف عزيمتك، ولا يدرون كم انت مصانة وممنوعة حتي من التداول أو التشويش.. لديك جهاز وقائي يمنع عنك السوء والبغضاء، ويهديك للطرق السهلة الرحبة.

يؤلمهم كثيرا عفويتك وتلقائيتك، فعندما تبدين يتلاشون ويختفون كالبخار، ويصير وجودهم كأن لم يكن، لذا يتوهمون عبثا أنهم قد ينجحون فى اختراق حصونك المنيعة وابراجك الشاهقة، ليفسحوا المجال لهم ولو بعض من الوقت، فمن الظلم يا حبيبتي أن تملكي البر والبحر، ولا تتركي لهم غير الاماكن المهجورة، والكلمات الباردة والاحاسيس المستهلكة التي لا تسمن ولا تغني من جوع.

أرى أنك تتحملين جزءا كبيرا من هذا العبث الدائر حولك، لأنك تفرطين فى الحلاوة وتغالين في البساطة والقناعة، وهذا ما يجعل الآخرين متربصين لك، متسنحين فرصة للانقضاض عليك، حتي يستطيعوا أن يزاولوا حياتهم، فوجودك علي سطح الأرض يمنع ايصال الهواء لرئاتهم فيموتون خنقا بسبب نقص الاكسجين التي تستولين عليه بالكامل والذي يهرول إليك رغبة منه في الحياة.

أنت امرأة ليس لها تاريخ صلاحية.. أو قطع غيار، أنت امرأة صالحة لـكل زمان ومكان، غير تابعة لقوافـل الحريم أو خاضعة لقوانين الزمن الجائـرة.. وغيـر معنية بقوائم شـهريار الباطشـة.. فأنت خـارج الاطار التقليدى لحدود التفكير. ليس صحيحا ما يقال، أنها تأوهات المعذبات الباحثات عن أمل يحقق لهن قدر ولو يسـيرا من التواصل مع الآخرين، وماذا يضر الشمس من صرخات المتجمدين؟!!

(40)

لا جـدوى.. لا عنوان

بحثـت عنك فـي كل مكان وزمان.. لا جـدوى لا عنوان.. وتعقبت خطواتـك.. أنفاسـك.. كلماتـك.. همسـاتك.. وتلصصـت علـى الجدران.. وصرخت في الريح وفى العتمة وفى النور.. وضربت الودع وفعلت السـحر.. وتمنيت أن تأتي فى ليلـة عيد بعد طول غياب.. لكن العمـر يمر دون بشـارة!! طال الوقـت وطال غيابك.. ويئسـت من كل الأشياء.. وفقدت الثقة وفقدت الصبر..

سـافرت بعيدا بعيدا حيث بلاد العشـق والترحال.. وسـألت حبات الرمـل وأوراق الشـجر ورذاذ المطـر.. والريـح العاتيـة العاصفـة.. لـم أخش شـيئا.. عبرت بحور الدنيا وغصت فى الأعماق.. وسألت اللؤلؤ والأصداف عن طيفك عن اسـمك عن رسـمك عن ظلك.. لا جدوى لا عنـوان.. ورجعت حزينا مهموما تثقل كاهلى الأحزان.. تتراكم على صـدرى جبال الملح.. اشـفقت على حالى من عمـرى الضائع.. الليل يطـول.. والبرد يجـر صقيعه، لا ملجأ لى.. اتجمد من شـدة وهني.. لا

قمر يأتي ولا يبدو فى الأفق.. والنجم القابع يتحسر.. يتأوى.. ورأيته كثيرا يبكي..

اعتصر قلبى حزنا.. أكلتنى الوحدة والسقم والهذيان، وتمنيت فى لحظات اليأس الموت.. تمنيت الذوبان..لكن قدرى أن أحيا طيلة عمرى ابحث عنك.. فى الطرقات الوعرة أتحسس دربى.. أتلمس آخر بقاياي.. تمضى الأيام السوداء وئيدة بطيئة، ينفطر القلب المحموم بركانا.. تدمى العين الساهرة بالحرمان، يأتي الصبح شريدا مطرودا لا يحمل أى ملامح طفولية.. ما بين الأبيض والأسود تتراكم ألوان الطيف.. ولا جدوى ولا عنوان..

عسعست فى كل الطرق بحثا عنك.. وذهبت للعرافين والدجالين.. وهذيت بالكلمات الماجنة.. ترحلت الدنيا..ومشيت على الأقدام وعلى الأشواك.. وعلى جمرات أسئلتي المخنوقة.. المعلولة.. المسئومة.. فتشت عنك فى كتب الشعر والتراث والجغرافيا.. فتاريخ العشاق يبدأ عند اطراف انامل‌ك وينتهى عند خصلات شعرك.. لم يأت جواب يشفى غليلي.. ويزيح جبال الصبر من صدري..

سألت الناس عنك فى كل مكان وزمان..فى البحر والبر والمحيطات.. وعندما سألونى عن وصفك.. عن رسمك.. عن اسمك.. تلعثمت الكلمات..وتاهت اللغة الكسيحة.. فماذا أقول لهم، وأنا لا أعرف شيئا عنك.. انقطعت أخبارك.. وانقطع معها خط العمر.. وخط العودة.. أرهقنى التفكير وتمكنت الحيرة مني.. من أى عصر أتيت؟ ولماذا أتيت؟ مازلت أبحث عنك فى كل عصور التاريخ..

فـى صفير الريـح.. فى هدير الأمـواج.. وفى زقزقة العصفـور.. ودعاء الكروان.. فى كل عين باسمة تتأمل غداً جميلاً..

تضيق المسافات القاتلة.. ويختنق معها الأمل.. اتفحص رسائلك.. أقرأهـا مرات ومـرات.. ليس لدى شـيء غيرهـا.. احـاور الكلمات.. احدثهـا.. ارهقها.. اسـتفزها.. ابعثرهـا.. أحيانا أتوسـل إليها وأبكي.. دون جدوي..

مجنون من يعشق فى النور ضياءه.. وفى موجات البرق صرخاتها.. مجنون من يعشق شيئا لا يراه.. انقطع الحلم.. وانقطعت اخبارك..

(41)

الأربعاء الأخير

لـم يكـن رحيلك مفاجأة.. كل شـيء كان محددا باليوم والسـاعة.. ولقـاء الأربعـاء الأخير الـذي تبادلنا فيـه الكلمات القصيـرة والنظرات الخاطفـة كان ايذانا بالوداع وبداية رحلة جديدة من الشـقاء والحرمان، وبعدما اسـتنفذ المكان آخر طيـف لرائحتك، وفرغ مخزون الشـجاعة والتحمـل داخلي، بـدأت نوبات الترنـح وانعدام الـوزن تجتاحني مرة أخري، قاومت كثيرا وحاولت أن اعبث في اشـياء تلهيني عما أفكر به، فكلمات البطولة والفروسية التي رددتها عليك ما كان يجب أن اتراجع عـن كلمـة واحـدة منها خصوصـا أننـي بالغت كثيـرا في اظهار نفسـي بالخارق الذي يضحي من أجل عشـقه الابـدي، ولم يكن يرضيني بأي حال أن أجعلك أمرأة احتياطية لنزواتي وشهواتي، فأنت ارقي من ذلك بكثير. فمنك تعلمت كيف احافظ علي كبريائي ووعودي.

اعتبرت أن ابتلاعي الصبار والوحشة دين في عنقي يجب الالتزام به ليـس كنوع من رد الجميل والعرفـان بما قدمتيه خلال رحلتنا، فهو اكثر من قدراتي وامكاناتي، ولكني شعرت بأنه آن الأوان أن اقدم شيئا مقابل

كل هـذه التضحيات التي نعمت بها وتمتعـت في رحابها، خصوصا ان النهاية محتومة لا رجعة فيها ولا تغيير، فلما لا أظهر بالشكل المشرف الذي يمنحني وسام الشهامة وتكون ايضا مكافأة نهاية عشق لأمرأة منحتني الحياة والسعادة دون مقابل، ولم تجن من ذلك سوي الشقاء.

كانت هناك عبارات لم يمهلني الوقت لكي أقولها.. وحكايات كثيرة لم ارويها.. لم يكن الوقت كافيا، ومر سريعا جدا.. ارجو ألا تفهم كلماتي بأنها محاولة للتراجع عن كل الوعود التي قطعتها علي نفسي والتزمت بها، للأسف حتي التراجع لا املك منه شيئا، واصبح قدري أن امشي طريقي وحدي علي الأشواك وحيدا، وانا اجتر من الذكريات ما يسد رمقي ويشبع جوعي ويروي ظمأي، لم يبقي لي سوى التضحية مرغما ومجبرا عليها، حتي البطولة مساق إليها ولم تكن اختياري ولم أسعي إليها يوما حتي في لحظات الغيبوبة التي اتسمت بالخصام والعتاب، نعم قررت الموت بالبعد عنك، ولكني كنت اطمع في بعض من الوقت كي املي عيني منك حتي لا تأسرني الوحشة، دقائق بسيطة بماذا كانت ستضر.

كان الرحيل نهاية لطيفة لحبنا الجميل، لكنها لم ترضيني، انتهي وقت التوسلات ورفعت كل المظالم، فدعيني أرقص رقصتي الأخيرة وأن أهذي بكلمات لا طائل منها، اطفئت الرياح كل شموعي وأغلقت نوافذ الرحمة في وجهي، واشتاق ليلي لطلتك التي كانت تمنح قمره الضياء والبهجة.

لم يعد لي الآن سوي الابحار في قلب الايام الفائتة ربما استطيع اشتمام رائحتها او العزف علي أوتارها المقطوعة، ورغم المعاناة

التــي اعانيها في اســتدعاء المواقف الحلوة التي تســتعصي عليّ وكأنها تجاملنــي رغم عني في الاحتفاظ بحفظ ماء الوجه علي وعود أصبحت مع الوقت قضبان حديدية تضيق عليّ وتدفعني دفعا إلي الهاوية، ولكني ســأحاول أن أكــون جديرا بهذه النهاية التي أري انهــا راقت لك رغم ما اعانيــه، فقد علمنــي حبك الالتــزام والتضحية حتي ولــو أدي ذلك إلي انتحابي حزنا عليك.. سأموت عليك قربان إليك، ويكفيني نظرة الرضا في المشهد الأخير.

(42)

ثورة العصيان

ليست من طباعى المغامرة، لازمنى الخوف ولازمته سنين طويلة وصرنا رفيقين في درب الحياة، لم يبرح عنى يوما، ولم اتركه لحظة.. تربيت على الطاعة، وتنفيذ الأوامر كما تلقي علي دون نقاش أو حتي ابداء علامات الرضا والتذمر، ولم يجنح تفكيرى يمينا أو يسارا.. بل أني لم اسعي يوما للتفكير، كنت تقليدية فى زمن التغيير.. ساكنة فى وقت كل شيء فيه يتحرك.. متجهمة وعابسة والوشوش حولى تملؤها الابتسامة والأمل.. أمنت بكل الحكم الوسطية.. والحلول التي ترضي جميع الأطراف، وتجنبت تغيير عاداتي وطقوسي التي تربيت عليها.

أشياء كثيرة سقطت منى وذهبت نتيجة التردد والخوف من المجهول، كنت دائما أخشى المواجهة، أو التعبير عن مشاعرى وكأنى لم أتعلم بعد الكلام.. فلم أكن من عشاق المقامرة، ولم يكن لدي ما اقامر به.. حيث كان الرهان يعنى لى مصادفة الفرص الطائرة..تأتي أو لا تأتي.. لكنها تظل أملا تأرجحه الرياح، وكنت اعزي نفسي وقلة حيلتي بأن طريقتي هي الأسلم لتجنب المشاكل والتي للاسف لم تبرح عني، بل كانت تزداد نتيجة لخمولي وتقوقعي.

وصادفني عشقك ورغم أنني رأيت الدنيا في نن عينيك بصورة أخري غير تلك التي اعتدتها، وعندما حاصرتني عيونك، وأصدرت لي الأوامر بالعشق رضخت وامتثلت لقراراتها، ووقعت علي صك انقيادي إليك، فقد تربيت كما قلت علي الطاعة وتنفيذ الاوامر التي تصدر إلي، وأخلصت قدر استطاعتي، ووصلت لقناعة، بأن أقداري ساقتك إلي لتنشلني من غياهب أوهامي الي حياة ارحب، وتفانيت في الحب، واحترمت مشاعري تجاهك لأنها وهبت لي السعادة، وفي المقابل لم أرضخ لأى إغراءات، ولم أبع أشعارى على أرصفة العاشقين، بل كنت حريصة على تخزينها لألقيها عليك، وتعافيت مع الوقت من أمراضي المزمنة، وتخليت عن مسك العصا من منتصفها.. ومحت سنين الحرمان من قلبى وتلاشت تلك الخطوط الوهمية التي اثقلت من خطواته، وضيقت المسافات بينه وبين الحلم والتمني.. فصرت أسيرة لك منصاعةً لكل أوامرك دون مناقشة.. ولم أتجرأ يوما علي البوح بابداء اعتراض من اي تصرف لا يلقي قبول عندي.

أفسحت عيناك الطريق، جرأتنى وأعطتنى الثقة.. كنت عندما أنظر إليها اشعر بمدى احتوائها وصدقها وحنوها.. جذبتنى إليها بقوة مرددة : لا تقلقي.. اقتحمينى وأقتربي مني.. فلن تجدي غير عينى لتدفء أيام شتائك.. ولن تجدي قلبا يحتوى كل إحباطاتك وآلامك سوى قلبي.

نعم.. حرضتنى عيناك على الثورة، ومع الوقت صار العصيان طريقة حياة، أدمنته ولازمته ولازمني وصرنا رفيقين، لم يبرح عنى يوما، ولم اتركه لحظة.. ولأنني أتعلم الدروس جيدا وأخلص لعاداتي، فأن العصيان التي ألقيت ببذوره في أرضي البور يحرضني عليك، ويستفزني كي اثور عليك وعلي حبك الذي قيدني وقوقعني، فأعذرني

لـم أعد اطيق الاسـتمرار، بعدما اصبح العصيان والتمـرد عادة يومية لا اسـتطيع التخلي عنهـا، كما أنني امرأة تعشـق المغامـرة والتجديد، ولا أرضـي أن أكـون منقادة لأي رجـل وحتي ولو كان من وهبني السـعادة وعلمنـي كيف أعيـش الحياة، ويكفينـي أنني حاولـت أن ارضيك وأن البـي جميـع رغباتك التي جهرت بها وأخري كنـت تنتويها، وأخلصت لك، فأجعلني أثور عليك للمرة الاولي والآخيرة.

(43)

عبـــوديـــــة

هل تأذنين لى بالرحيل، بالسـفر بعيدا عن تلك البلاد التي تتنسـمين من هوائها، وتشربين من مياهها، دعينى ألملم أشيائى، فلم يعد لى عيش هنا.. هل تأذنين لى بالتوبة من الكفر والألحاد، والرجوع إلى نواميسى القديمة، سئتمت عباداتك العلنية وسـط الزحـام والضجيج وأصوات الباعة الجائلين في الأسـواق العامة، وصراخك المستمر عندما ترغبين في شــيء، أنتهت عصور الرق بلا رجعة، فلما الاحتفاظ بي. لكل شيء نهاية، فمتي ستكون نهايتي من قبضة ايامك المتوغلة في أحشائي. فكي حصاري واطلقي سراحي، وأعدك أنني لن أعود مرة أخري، واذا استبد بي الشوق للعبودية مرة أخري، فأفعلي معي ما يحلو لك.

لـم يكـن حبـا.. كان حصارا محكمـا، وصـك اذلال يتعقبنـى أينما أذهـب، يرصدنى فى الذهـاب والعودة، يفتش داخل رأسـى عن أفكار جديـدة أو هواجس فى الطريق ليعتقلها، كنت أبحث عن امرأة تؤوينى، أو أن شـئت تخبئنى داخل احشـائها وفى موقع متميز من قلبها، تبتلعنى إذا تنفست، امرأة لا تطلب شيئا، ولا أطالبها بشيء.. امرأة عندما تزغرد

تمطر السماء، وعندما تضحك تتفتح الزهور، كنت أبحث عن معجزة فى زمن الجوارى والحافيات..

امرأة لا تتعجل الأحضان، وتمهلنى فرصة كى أفحص تفاصيل وجهها.. حتي إذا ما أوصدت المصباح، أكون قد حفظت ملامحها. لم أكن أبدا أسعى لجارية، فمهنة النخاسة لا تناسبنى ولا أجيد تصريف أمورها.. اعتزلت الخطيئة وأغلقت كل ملفات الإباحة.. فإلى متي سأنتظر الأميرة العائدة من بلاد الجحيم؟

كان الجنون من أحب الأشياء إلى قلبى، السباحة ضد التيار، والسر في المناطق الوعرة التي لم تطأها قدم من قبل، ففي المغامرة فوائد كثيرة ومخاطر قليلة، سعيت أن أشطر عقلك نصفين، حتي يخرج المنطق من قاموس علاقتنا ومفرداتنا، سئمت القواعد الصارمة والمنتقاة بعناية، كنت أسعى إلى فوضى منظمة بشروط خاصة نضعها معا، انفرط العقد من بين أيدينا وتبعثرت حباته يمينا ويسارا، فلم نبلغ الحكمة، ولم يجنبنا الهذيان.

لم تبهرنى قبضان السجن الذهبية، فالسجن حدود تضيق مساحات الخيال وتلجم الطموح، فقد سئمت السوار وادمت القيود معصمى، ولست فى حاجة لمجد معلق على الجدار أو قصيدة منظومة تلقى فى يوم تأبينى، أريد أن أهنأ بلحظتي حتي ولو كانت الأخيرة.. فلم يعد فى العمر ما يجعلني أقذف به في بحر سحيق.

لم يكن حبا، كان نعاسا طويلا، توالت عليه الكوابيس والأحلام المزعجة، وآن لى الآن بعد هذا العناء الطويل، أن أريح الجسد ولو حتي قليلا.. فأذنى بالرحيل وأعطنى تصريح مرور بلا عودة، فالأرض لم تعد أرضى، من حقى الرحيل، وألا سأضطر مجبرا للهروب دون

وداع.. هذا ليس عشقا، فقرارات الاعتقال والاقامة الجبرية تفسد العلاقة بين الحاكم والمحكوم، أعطي أوامرك للسجان أن يفتح باب الزنزانة، قضيت عقوبتي بالكامل دون زيارة واحدة، او فسحة من الوقت اتجول فيها خارج جدران محبسي، اشتقت للشمس والهواء والناس، وسئمت من عشقك وسطوتك وقيودك.

(44)

تأشيرة سفر

تريد الرحيل.. أرجوك ارحل بسرعة، انتظرت هذا القرار منذ زمنا بعيد، ولا تبطأ الخطي، هرول، طير، انطلق، تصحبك السلامة والندامة، غير مأسوف علي عشرتك، وسأبذل قصاري جهري في انهاء اجراءات سفرك واستخراج تأشيرة مفتوحة للذهاب إلي أي بلد في العالم، ويمكنك اصطحاب ما شئت من حقائب ومتاع وأثاث، ولا تخشي من رجال الجمارك فلديهم أوامر عليا بتذليل كل العقبات، ستفتح لك صالة كبار الزوار مع وداع رسمي يليق بك، يتضمن فرق موسيقية تعزف كل الاناشيد الوطنية لجميع قارات العالم، وأكثر من مائة طفل ووطفلة يحملون الزهور والقلل، تذكرتك «فرست كلاس» ذهاب بلا عودة.

أما عن توبتك عن الالحاد والكفر فلا تقلق، أبواب السماء مفتوحة لا تنتظر اذن من أحد، لكن عليك أن تتطهر أولا حتي تقبل توبتك، لقد عتقتك ووقعت صك تحريرك، فأنت الآن حر ابن حرة، يمكنك التجوال دون ابراز هوية عبوديتك. وسأتولي دفع كل التكاليف، حتي الديون المتعلقة لا تبتأس بشأنها، كل شيء سيكون علي ما يرام.

لقد سـاهمت سـذاجتي فـى إطالة أمـد العلاقة بيننا، ولـم يسـتوعب تفكيـرى الضحل إشـارات كثيرة كانت واضحة وضوح الشـمس، لكن سـكرة الحب أعمـت بصيرتـي وأفقدتنـى التركيز. لا أعفى نفسـى من مسئوليتها عما حدث، يمكنك الآن أن تسير في الاماكن المستوية، وأن تسـبح مع التيار ربما يقذف بك في شـلالات ما وراء البحار، لا جبران عليك ولا قيود، انعم بالحياة فأنت أهلا لها.

مـن الانصـاف أن تنـال ما نلته مـن عذاب وحيـرة.. فـلا تنتظر منى أن أكـون موضوعية.. سـوف أتجـاوز كل حدود اللياقة، وسـوف أهيل التراب عليك واسـحقك سحقا.. وسـأحرص أن تظل أسرارك مصانة، فهى ملكك، ولن أجرؤ على الخوض فيها مهما حدث.. لست مجنونة حتي افشـي أسـرارك لأنها في نهايـة الأمر تجعلني اضحوكة وسـاذجة متخلفـة.. يتردد صـدى الأكاذيب الكثيـرة التي تجرعتها مـن عينيك.. أتذكـر ذلك وألـوم نفسـي.. وأحيانا أعذبهـا.. وأحملها ما آلـت إليه.. أعذب نفسـى بنفسـى واصدر عليها الاحكام القاسـية وأعانى مرتين.. مرة عندما أطلق سـياطى وأخرى عندمـا تؤلمني.. كنت أعلم أن النهاية سوف تكون مأساوية.. اعتقدت انه بامكاني أن اكتب النهايات السعيدة، واجعل من نفسى منتصرة رغما عنك.. فما اتعسها واقبحها نهاية.

مازالت الأشياء تتراقص من حولى.. تتمايل وتترنح.. وتبدو للناظر إليهـا رقصات هيسـتيرية ، ولم تكـن كذلك، فدائما مـا كانت تبعث فى احساسا طفوليا جميلا حرمتنى منه أنانيتك.. لم اخسر كثيرا.. خسرتك، وانت لا تسـاوي شـيئا.. لن أخدعك كثيرا، واستخدم كلامات لا طائل منها سـوى التمويه والبعد عن الحقيقـة، أنها نزوة حاولت التخلص بها منك حتي لا تجثم على صدرى.

اخترت نهايتك بيدك وبارادتك وبكامل حريتك، فأنعم بالنعيم الذي ينتظـرك، ولا تفكر في العودة مرة أخري، فقد شـطبت ايامك من تاريخ حياتي، ومحتوت اسـمك من كشـوف الاحياء والأمـوات، ولو فكرت فـي العـودة مرة أخري فلن تجد اسـمك مدون في ورقة رسـمية، فأنت شـيئا كأنه لم يكن، ليس له وجود ولا عنوان، وسـأحرص أن يكون في وداعك لافتة كبيرة مكتوب عليها «في ستين داهية».

(45)

رياح الربيع

هل اسـتطيع القيـام بانقلاب في حياتي، بعد هذا النفي الذي أعيشـه في بلادك البعيدة، مأسـاتي الكبري أن أيامى التي أعيشـها موصولة بك وممتدة نحوك، وساعية إلى كل ما يقربها منك، فكيف يكون الخلاص؟ أي محاولـة عصيان سـتقابل بثـورة عارمة من مشـاعرى، ولم أفلح في ترويضهـا كـي تعتاد حياة جديدة ليسـت أنت محور دورانهـا، أظن أنها ستكون مملة وبطيئة وباردة كألواح الثلج.

أيامى معك، اسـتيلاء واسـتعمار واحتـكار لمشـاعرى وجوانحى، فكيف أتخلص من تلك العادات القديمة، وأنا إنسان بنصف إرادة وبلا عقـل، ولا أريـد تغيير عاداتـي اليومية التـي ترضيني.. عـز على الفراق وعزت على نفسى التي حرمت منك ليالى طويلة، فكم عانيت وشقيت مـن وحدتـي ومن اتهامـات باطلة، اسـاءت لـك قبل ان تسـئ لى، فما طالت ايادينا شـيئا سـوى اللوعة والحرمان. ولأن القـرب منك عذاب والبعد عذاب سأظل متأرجحا بين انصاف الاشياء ، اعشقك وانا مجبر ولا حيلة لى فى نفسـى، وامقت غيابك بحسـرة من فقـد الامل فى لقاء

عابر فى شـارع مزدحم. وعندما تسـمحين لي بالعشـق يبـدأ تقويمي.. وتتلون الحياة بالوانها الزاهية..

آن لى الان ان امسـك القلم من جديد لأكتب حكاياتي التائهة بعدما ظلـت تبحث عن مفردات فى غربتي الاضطرارية، والتي فرضت قسـرا وظلمـا وحجمـت مـن انطلاقاتـي.. الان فقط.. اسـتطيع ان استنشـق الهواء وان الون اشـيائى التي كسـاها الحزن والسـكون والصمت دهرا طويـلا.. يحق لى ان افتح نوافذى المغلقة، وان انفض التراب عن قلبى المتعب الذى ظل حبيس عنادك وقسـوتك، جاء قرار العفو وسـمحتي لـى بالتجول مرة أخـرى دون خوف أو رهبة داخل ايامك وسـاعاتك.. يمكننى الآن عبور تلك الطرق التي كنت اتحاشى المرور فيها.

تعودت ان تكون البدايات منك، وان تكون ايضا النهايات منك وانا فى منتصف الاشـياء ارضى بما تلقيه الـى دون اعتراض او رفض، فهل املـك غير المثول، تمضى الايام كيفما تريدين وبالطريقة التي تناسـبك وامتثـل انا مرغما على ممارسـة الحياة من خلالك دون اعتراض، حتي الثـورة والعصيان والتمرد اشـياء لا املكها ومـن العجيب اننى ارتضيها دون مقاومـة وبانصياع شـديد يثير الشـفقة.. تتقطرين علـى بالكلمات الناشـفة القليلـة وتبخلين فى العواطـف، ورغم كل ذلـك اعلن بكامل ارادتـي بـان الحيـاة عادت الـى مرة اخرى مـن خلال عفـوك الذى اتي متأخرا جدا لكنه روى ظمأى وضمد جراحى الملتاعة..

لـم يكن تليفونك الصباحى هو فقط إشراقتي التي يبدأ بها يومى، بل كان جهـاز تنفس صناعيا لمريض يختنق وصـارت حالته حرجة، وكان ليلى فرصة لاستأنس بأحلام لم يفارقنى فيها وجهك، و يمتد النهار من

ابتسـامتك الصافية، أو نظرة عتاب حانية، أو بعض الكلمات التي تتقطر منها الطمأنينة والحنان.

لم أحتمل رذاذ المطر المعبأ من شفتيك.. ولا القرنفل الذى اطلقته عينـاك فـى قلبي.. أنهـا منتهى القسـوة، أن تختصـر كل أيامى فى جمل تحمـل الريحان والياسـمين وتفتـرش الطريق الذى ظننته أنـه بدا وعرا ومتعثراً..

(46)

خيــوط

مـا أحوجنى إليك، ما أصعب أمسـي.. كانـت حاجتي فى الجلوس معـك آخـر امنياتـي.. وعندمـا هممت بالذهاب احسسـت بالانكسـار والضياع، وتمنيت أن تبقى أبد الدهر.. ورددت بين نفسي. الآن سيحل الظـلام على يومـي، وترحل الكلمـات، ويغيب الـدفء.. عند ذهابك يتبـدل الهـواء والوشـوش.. وتصيـر الحيـاة مملـة ومفزعـة.. بالأمس ارتفعت الجدران أمام عينى وحجبت الرؤية، وغدت السـاعات سـنين وأيامـا.. ومـا عزانى فيها سـوى الغد بـكل ما يحمله من بشـارة وفرحة للقائك.. هكذا يا ملهمى أصبحت فى حالة انتظار دائمة، لا تهدأ.

كنت فى حاجة كى اشـكى لكي همومى، ويأسـى، بالأمس اشـتقت إليـك وأنـت أمامى، وحاولـت قدر إمكانى أن أرسـل لـك نظراتي علها تفصـح عـن شـيء، آه مكتومة داخـل صدرى حاولـت أن تنفـذ إليك، وشـعور بالحرمان منك كان يرغب فى العبور، لكنى لاحظت أكثر مما أعانيه فى نظرات عينيك، ما أهون لحظات التوسل والرجاء.

حسـبت أن عينى الزائغة التائهة الضائعة سـوف تترجم لكى معاناتي مـن رحيلـك، حاولت أن اسـتنجد بك من وحشـة اللحظـات.. لكنك

ذهبت. توسلت فى صمت ألا تمضي.. أن تبقى بعض الوقت.. مازلت أتارجح بين رنين كلماتك العذبة التي ألقيتها على مسامعى وأوقظت مشاعرى المستكينة.. كيف ضفرت كلماتك فى حروفى، وأى قدرة تلك التي تتمتع بها، علمنى كيف أعبر عن نفسى، علمنى عندما تمضى لا اشتاق إليك.. فإن اشتياقى يعذبنى ويفتت بي.. علمنى ألا أحبك.. فحبك هو نهايتي المحتومة..

كانت لكلماتك وقع السحر عليّ.. أفقدتنى توازنى المستعار، وتقوقعت داخل نفسى أتأمل ما حدث، أنها الثورة الكبرى التي لا يقف أمامها شيئا.. تتراقص حروفك فى قلبى وتتمايل وتحدث الصخب والضوضاء، حتي لا يسمعها الآخرون، فيتلصصون عليها ويتعقبون صداها، ويعرفون حكايتي ويرمقوننى بنظرات الحسد والغيرة.. كل هذا الحب وحدك.. كل هذا الحب وحدك!!

أين كان كل هذا الحب؟ ولماذا آثرت الصمت؟ كيف احتمل قلبك كل هذه الأحاسيس والمشاعر؟ أحيانا أسأل نفسى، كيف كنت تعيش وتلك الجبال من الكلمات على صدرك؟ رفقا بي.. وحاول أن تكون رحيما بهذا القلب الضعيف الذي أنهكه الترحال.

تسلل حبك فى عتمة أيامى فأضاءها، وبسط فى دربى المعتم شعاعا من نور، وحكايات من الأمل والتحدي.. تسرب داخل نفقى المظلم، وزرع زهوره البنفسجية، وازاح التراب ورتب الأشياء، وأعاد الكلمات الحلوة فى زمن المرارة تنطلق من جديد، وترسم البهجة على الشفاة.. تجسس حبك على، وتتلصص وتلمس خطواتي الزائغة الباحثة عن مرفأ..تعقبنى إينما ذهبت.. تربص بى وأوقعنى فى مصيدة عينيك، ورقة أحاسيسك.. استولى على بعد أن أقتحم وحدتي وأبوابى

المغلقة، ازاح الستائر السوداء وبدلها بأخرى بيضاء حريرية فضفاضة..
فرض حصاره.. وأغلق كل منافذ الهروب، انتشر داخلى دون استئذان
وفرض الوصاية رغم عني.. أعاد تشكيل سريان الدم فى العروق..
ونظم ضربات القلب البطيئة، وجعلها تهرول.. ترقص داخل الأساطير،
لا تخشى العواصف أو الأعاصير.. أعاد تكوينى وفق مواقيته وطقوسه
وعاداته..

(47)

الســـقــوط

مازال وجهك المريمى الطفولى والذى يحمل دفء وطمأنينة الدنيا يواجهنى بين الحين والآخر يزيح العراقيل التي تتصدى خطواتي وتحد من حركتها وانطلاقها، ولكني أقاوم حتي الرمق الأخير من عمري، فهل تستحق الحياة شيئا دونك، تتزاحم المشاكل بشكل سرطانى وتتوالي الأحزان يمينا وشمالا لذا يأتي اللجوء إليك ضرورة إنسانية لمواصلة الحياة، فلا تلومينني على كل هذا العشق الذى استوطنني، فلا أملك حيلة فيه، ولا اسعى للتخلص منه، لأن ذلك يعنى فى النهاية التخلص من ذاتي.

حاولت.. نعم حاولت بعزيمة متهالكة وقلب يتأرجح بين أنصاف الأشياء.. وعين زائغة تبحث عن صورتك فى الجريدة الصباحية، أن أكون موضوعيا، وأن أتحلى ببعض من الرزانة والعقل والصبر، حتي أنني حاولت أن افتش عن عيوب أطلق عليها سهام غضبى وحنقى ومفردات التهكم والمبالغة.. وأحيانا كنت اختلق بعضها، لكى تصبح

صورتـك الجميلة المشـرقة باهتـة.. فأغض النظر عنـك.. وأبحث عن لعبة أخرى ألهو بها..

خشـيت نظـرات الآخريـن واتهاماتهم لي بأننـي أمـارس المراهقة معك، وأنني أغرر بك واسـتبيح براءتك مقتحما أيامك الهادئة بضجيج الحـب، مسـتغلا قلـة خبراتـك وتجاربك، لكنـي - عفوا- أشـعر أنك تبادليني احساسـا بالرضا والقبول، وأظن أنني أنعم ببعض الخصوصية والاهتمـام مـن دون الجميع، يمكنك مصارحتي بحقيقة شـعورك ولن أغضب منـك ابـدا، إذا كان ردك بالرفض، فيكفيني شـعوري تجاهك، وحرصك الدائم علي ارضائي، يمكنك الاختيار دون ضغط.

مـع كل محاولة فاشـلة للبـوح، كان يزداد تعلقى بـك.. وكنت أفقد بعضا من مقاومتي ورباطة جأشـي.. وتزيد حالتي سـوء عما هى عليه، أقصـد ازداد عشـقا لكى، حتي أصبـح خيالك يملأ المكان ويشـيع فى نفسى شعور بالانقياد والتبعية والنشوة...

أدركت أخيرا أننى لا أجيد شـيئاً سوى أن أعشقك.. فعشقك أصبح مهنتي التي أقتات منها نسـيم عمري.. فكل الأشـياء تبـدأ وتنتهى دائما وأبدا عند محطات عيونك ونواصى شـفتيك.. وعندما أحاول أن اسبح فى خيالاتي أجد نفسى غارقا فى ضفائر شعرك، مربوطا بها..

ذهبت بعيدا بعيدا.. تاركا ورائى أحلاما لم تنته ولم تكتمل.. وحينما وصلـت إلـى شـاطئى المتعـب ، لاطمتنى أمـواج حبك بكل قسـوة.. حاولـت أن أغوص فيها.. أتأملهـا.. أتفحصها، أو حتي أروضها.. ربما أفـوق من سـكرتي.. مـن خيبتي.. من عشـقك الذى يسـرى فى دمي..

لكن باءت محاولاتي بالفشل، فمعك لا أستطيع إلا أن أنقاد وراءك فى حضرة عيونك وفى حاشية ظلك.. فلا تنتظرين منى المستحيل.

سأظل أحبك رغم عني، فلم أجيد شيئا في حياتي سوي ذلك، ولم أتعلـم من حروف اللغة غيـر كلمة أحبك، فأمرأة مثلـك بكل ما تحمله مـن سـحر وتوهـج وطيبة وعفـة يكون المـوت في حضرتهـا هو أعلي درجـات التمني، وعليك أن تلومي نفسـك وتعاقبيها لأنها حملت تلك الصفات الجميلة التي لا تتوافر إلا في القديسات، لذلك أعدك أن أظل في محرابك حتي لحظات النهاية.

(48)

الصعود

سألت نفسى وأنا أقرأ عناقيد الفل التي أرسلتيها، هل هذا حفل تأبينى، هل تلك الكلمات هى آخر الكلمات التي ستكتب فى دفترى الأخير.. أم أنها سكرات الموت وغفوة الرحيل، أعيد القراءة مرات ومرات، وفى كل مرة أشعر بقسوتك.. نعم قسوة.. ليس فى استطاعتي تحمل كل هذا العشق.. كل هذا الدفء، إن كلماتك أقوى من قدرتي وأبجديتي ولغتي.. كان أولى بك أن تجرعنى تلك الكلمات حرفا حرفا، حتي أستعيد توزانى، أنها طريقة عبقرية للخلاص مني.. كنت أخشى الموت بعيدا عن احتوائك، وتمنيت أن تستزاد عينى بنظرة وداع أخيرة، ولكنى الآن ألفظ أنفاسى الأخيرة وأنا بين يديك وأشعر بأنفاسك تلفنى وتعيد تكوينى من جديد.. ربما تكون طريقة جديدة للموت اللذيذ.

هل أخطأت الحروف المقصد؟ وكان لها طرق أخرى غير تلك التي عبرت فوق جسدي.. احتاج بعض من الوقت حتي استعيد نفسي.. أحتاج قراءة تاريخ حياتي مرة أخري.. هل استحق كل هذا... أصبحت الآن أكثر خوفا ورهبة منك.. أشعر بأننى أتعلم أول درس فى الحب،

وكثيرا ما كنت أردد على الملأ بأننى قادر على تحريك مشاعر الآخرين واللهو بها.. كنت أزعم بأنني وأننى وأنني.. والآن تتساقط أوراق خريفى مع أول إهلالة ربيع.

رفقا بقلبي.. يكفينى من الدنيا تلك الكلمات التي أعادت تكوين أشعة شمس حياتي، ومنحتنى أول بطولة حقيقية، فى مسيرة كنت أعتقد أنها مليئة بالبطولات والانتصارات.. أصارحك بأننى لن أستطيع أن أخرج من جلدي.. فمازلت فى حالة يرثى لها، واحتاج للمساعدة لاجتياز هذه المحنة الشاقة.. إن طلقاتك المدوية القاتلة، أجهزت على وأفقدتنى القدرة على فعل أى شيء، لكنها فى ذات الوقت أعادت لى الحياة، وكأنى طفل يحبو فى أيامه الأولي..

نعم أنت حبيبي.. وليس رغما عنك.. أن حبك يضبط قوانين الطبيعة التي تيسر للناس العيش، ولا يمكن الاستغناء عنه، ودونه تتعطل المدارات وتتخبط خطوط الاستواء، وتفشل الريح فى اتجاهاتها، وتسطع الشمس بالليل، ويظهر القمر بالنهار، ويتعانق الحر والبرد والرعد والرطوبة، وترتبك حركة الكون، أنت الشيء الوحيد المنضبط فى هذا العالم الفوضوى الهمجى، فهل ترغم الطيور على التحليق بالسماء، وتجبر الورود على رائحتها، وترغم الأمطار فى السقوط؟.. معك كل الأشياء تسير طواعيه، بإرادتها، مبتسمة، فرحة، بشوشة، يملؤها الأمل والطموح. نعم أنت حبيبي الابدي، فأنت الاجدي بكلمة عاشق، تقف في أول الصفوف وآخر الصفوت، وتملأ بطلتك الآسرة مشهد العشق السرمدي.

جادت الأيام على وأغدقت وكان حبك آخر هداياها الجميلة.. لم أكن أتمنى أروع من ذلك.. تصبحين ابتساماتك لعالمى الآخر..

ابتسـاماتك فقط.. أما نظرات الشـفقة والحزن ستجعل رهاناتي خاسرة ومصيبتي فاجعة.. أحيانا أشعر بأن حبك كان ثمنا لحياتي، فما أرخص حياتـي.. وما أغلـى ثمنها.. كرمنى حبك فى الدنيا بأكثر مما اسـتحق.. كانت الساعات القليلة التي جمعتنا كافية، وأزعم أننى تركت بعض من الانطباعات والذكريات الحلوة التي سـتكون عوضا عن غيابي. علمنى حبك أن أموت منتصرا منتشـيا.. حتي لـو فقدت آخر دروعي.. علمنى حبك عندما أموت ألا أموت.

(49)

بائعة هوى

كل بائعة هوى لديها قصة حزينة دفعتها لاحتراف الرذيلة، حتي تقتات قوت يومها من قروش الباحثين عن المتعة في الطرقات المظلمة والبيوت المشبوهة، حكاية قديمة منذ آلاف السنين تروي كل يوم ولا يهتم بأحداثها أحد ممن تلقي عليهم.. فمن يتسول الحب علي أرصفة الدعارة لا يبغي سوي الغاية التي تطفئ الظمأ وتشبع الرغبة، ولكنها الحاجة الملحة لإزالة الخجل عندما يتعري الجسد ويكشف عن عوراته ليبدأ تبادل الصفقات، فلابد من عبارات تشوه الانحطاط والسقوط البشع في مستنقع البغاء.

ربما كلما حفلت القصة بالمآسي والفواجع تزداد القروش قطعة أو قطعتين، هكذا يتخيلن العاهرات عندما يستدرجن السذج الملتاعين وراء المتعة، وغالبا ما تؤتي بثمار إذا صحبها قليلا من الدموع والنحيب، شريطة أن يكون الاداء احترافيا ومكتملا، فارضاء الزبون أولويات لا حياد عنها. فكلكن مجبرات خاضعات للسير فى هذا

الطريق الذي فرض قسـرا واجبارا، وكأن الدنيا خلت من مصادر الرزق ولم يبق سـواه، كلام متداول ومفضوح، أليست هناك امرأة اختارت أن تبيع جسدها بإرادتها.. دائما الظروف اللعينة هى السبب، وسطوة زوج الأم.. أو قسوة الأب، أو مرض الخال والعم والجد.

إن اختلاف القصص وتنوعها يشهد على براعتكن فى التأليف، كنت أعلم أنك ماهرة فى حَبْك القصص الواهية والكاذبة، لكن للأسف تأتي دائمـا بنهايات هابطة لا يصدقها عقل.. اسـتوحيتها من أفلامك الهابطة التي تعتادين الذهاب إليها فى عطلاتك الجنسية..

يبـدو أن قدراتـك فـى الكـذب تتراجـع بتراكـم السـنين والتجاعيد والدهـون وضعف القدرة على الإغراء ووصولك لسـن اليأس الأنثوي الذي يفقدك اتزانك ويجعلك تأتين بحركات وتأوهات لا تناسب السن أو الخبـرة العمليـة، خابت فراسـتك هذه المـرة فى إقناعـى بمبرراتك البلاسـتيكية، وخانتـك عيناكـى فى إسـقاط الدمـوع لتأكيـد المعني.. وفقدتي قدرة التمثيل والاندماج، ورغم محاولاتي لتضليل نفسـي كان اداءك الركيك يفقدني التركيز في تصديق كلماتك.

لـم يكن يشغل بالى امتهانك للبغاء، فتلك طريقة للعيش تروق لكِ.. ولـك الحق.. كامل الحق فى عرض جسـدك لمن يدفـع، هذا اختيارك وحـدك وتلـك قناعاتك.. وليس لـى أى دخل من قريـب أو من بعيد.. ولكـن عندمـا أوفر لـك القـوت والطعام وفرشـة من السـتر، فما الذي يدفعك لمعاودة نشاطك القديم، واستثارة زبائن الماضي.

الشـارع هـو المكان الطبيعـى لإقامتك، وهو المـكان الذى عرفتك بـه.. وهـو المـكان الـذى تسـتحقينه الآن.. لا.. لـن تجـدى معى هذه المحاولات.. أنا مستعد أن اصفح عنك وأغفر لك كل حماقاتك، على أن تأتي بقصة جديدة غير مكررة، ولكن ليس الليلة، فأنا الليلة مشغول، أعلـم أنك تريدين مـكان تنامين فيـه حتي الصباح.. لكن للأسـف هذا غيـر متوافر الآن، فلدى امرأة أخري بالداخـل لديها قصة حزينة دفعتها لاحتـراف الرذيلـة، حتي تقتـات قوت يومهـا من قـروش الباحثين عن المتعة في الطرقات المظلمة والبيوت المشبوهة.

(50)

نخـــاس

لا استطيع مجاراتك فـي الكلام، فأنـت بارع ومتمكـن، خصوصا إذا تحـول الحوار إلي خناقات الحواري واكتسـت العبـارات بالوقاحة والسوقية.. فجذورك العشوائية تتيح لك الردح بسهولة، كما أنك تجيد استخدام قاموس الشـتائم البذيئة، ولا يمكن بأي حال من الأحوال أن انزلق لهذا المسـتنقع الذي تغرف منه ألفاظك ومفرداتك، وليس معني ذلك أنني ارتضيت بهذا الهذيان الذي يتساقط منك، فقط أمهلك بعض الوقت لتلقي بما في امعائك من فضلات، انزع اقنعتك واحد تلو الآخر وأكشف عن وجهك القبيح الذي تواري خلف التوسلات المحمومة.. توهمت كذبا أن خير وسـيلة للدفاع هي الهجوم وبكل قسوة، وان ذلك سـيمنحك جـدارا واقيا لا تنفذ منه مـا يلحق الضرر بك، ونسـيت أنك هدف سهل لكل رماحي.

تعالي نتفق من البداية أنني فعلا بائعة هوي اقتات عيشي من قروش طالبـي المتعـة الذين ينهشـوا جسـدي كل ليلـة علي نواصي الشـوارع الضيقة وفي البيوت المشـبوهة، عذرا فهذا محل عملي، ولكن ما الذي يجعلـك تذهب إلي تلك الأماكن الموبوءة، وبشـكل دائم، حتي أصبح

وجهـك مألوفا في العديد منهـا، وظن البعض أنك واحد من أصحابها، لابد أن هناك سر وراء ذلك، أرجو أن تفصح عنه وأن تروي قصتك التي دفعتـك لاحتراف هـذه الهواية، مثلمـا نروي نحن السـاقطات قصصنا الحزينـة، وإن كنا نضطـر لتأليف تلك الحكايات بغرض الحصول علي بضعـة جنيهـات، فأنت أنقي من أن تشـوه تاريخك، ولـك أن تعرف أن الكثيرات ممن وصفتهن باحتراف البغاء والسـقوط في مسـتنقع الرذيلة يتربصن بك، فلا تأخذك النشـوة بسـرد الاكاذيب والبطولات المزيفة، فـكل زياراتـك مسـجلة بالصـوت والصـورة، وأخلاقهـن تمنعهن من فضحـك والتشـهير بك، خصوصا أنك كنت تمثل عبئـا وظيفيا عليهن، كمـا أن الكثيرات لديهن أتعاب مؤجلة لم تدفعها في حينها بحجة قصر ذات اليد، وأنك تأتي إليهن للعلاج وليس للمتعة.

صعـدت المسـرح في غيـر أوقـات العـرض، وتقمصت شـخصية الواعـظ الـذي يلقي بالحكـم والمأثورات في رواية لـم يكتب لك فيها دورا، فـكان ادائـك مقحمـا ورديئـا وغيـر ملهـم، كان عليـك أن تنظر للمقاعـد الخاليـة مـن الجمهـور لتكتشـف الحالـة التي وصلـت إليها واسـتحقت الرثـاء والشـفقة، وعندما انتهـي العرض العـرض انحنيت فـي ابتذال مصطنع متوهمـا أنك تتلقي تصفيق الحضـور، بينما المكان موحـش فـي الصمت إلا مـن الجـرذان والعقـارب التي ألفـت العيش معهم وانسجمت واندمجت من خصالهم، أردت أن تبرئ نفسك، كان يكفيك الصمت، لكن غباءك وضيق أفقك فتح عليك ابواب جهنم التي لن تسـتطيع احتمال عواقبها.. اعترف بأنني احترفت البغاء، وكان لدي أسـباب مقنعة أو غير مقنعـة، ليس الآن مجال مناقشـتها، فقل لي لماذا

احترفـت أنت هذه المهنة الحقيرة، أنت رجل بائس ومتكبر، يحيط بك الدنس من كل جانب وتدعي الطهارة.

كان يمكنك أن تقول ما تشـاء وأكثر، وأن تهيل التراب علي رأسـي، والا تكتفـي بتشـويه ملامحـي فقـط، وكان يمكنك تغرقنـي في الوحل وتمثـل بجثتـي، لكـن شـريطة ألا تكون قد تلوثـت في هذا المسـتنقع، ولكنـك للأسـف عشـت عمـرك كلـه تترنـح بين أحضـان السـاقطات والغانيات وتسـتبيح عرقهن ومجهوداتهن، لا فرق يا عزيزي بين الزاني والزانية سـوي التاة المربوطة. فأنت لست ذلك الرجل، ولن تكون ابدا فابتلع كلماتك الرخيصة وأرحل في صمت.

(51)

الجولة الأخيرة

بعد جولات عديدة وانتصارات ملأت السمع والبصر، اتخذت قرارا باعتزال العشق والتفرغ لكتابة مذكراتي قانعا راضيا بكل ما حققته، مدركا ومؤمنا بأنه ليس في الإمكان أبدع مما كان.. حتي مسني الجنون مرة أخري ونزلت إلي الحلبة بعد أن حاصرتني عيونك وضيقت عليّ مسافات الاستغناء، وتصورت بأن قدراتي ولياقتي ستمنحني القدرة علي ممارسة الحب، ربما كان الغرور بتاريخي القديم هو من فتح تلك الأبواب التي أغلقتها بإرادتي وبقناعة تامة، وبدأت في الاستعداد لجولة جديدة منيت نفسي بالانتصار بها وتحقيق مكاسب أخري لتضاف لرصيد كبير من الانجازات والبطولات.

وللأسف أدركت منذ البداية أن الأيام تلعب معي اللعبة الأخيرة.. عاكستني الريح وضللت شراعي المتعب وتاهت أقدامي في الطرق الضيقة والميادين الفسيحة، وأحسست بأن الخسارة تقترب مني وتحلق حولي، وما آلمني أن تكونى أنت خصمى في هذه المعركة الأخيرة، فحتي تلك الأسلحة التي كنت أتباهى بها يوما عزت علي

وأصبحت بعيدة المنال، وأرهقني البحث عن إيجاد مبرر للهروب، أو الاختفاء بعيدا عن شبح المواجهة، لكن وقت التراجع قد فات وشهد الجميع نزولي للحلبة.

حاولت ترويض عواطفي التي كانت يوما ملك يميني، لكني عجزت، وأصبحت قدراتي ضعيفة ورخوة، حتي استشري الداء واستحكم وتحطم جهاز المناعة، وصار يستقبل كل اللكمات دون مقاومة أو حتي إرسال إشارات الاستغاثة.. وبدوت جثة هامدة تستعذب العذاب وتطلب المزيد، وعلا صراخي واشتد من الآلام المبرحة والطعنات المتوالية، وبح صوتي الهامس حتي لم يستطع النفاذ من شفاهي.

ورحت أطرح علي نفسي تلال من الأسئلة التي لم أملك الاجابة عنها، بل ارهقتها بتحميل الذنب، وتلوت عليها قرار الاتهامات والجرائم التي ارتكبتها.. عنفتها لرغبتها الشديدة في أن تبحر في مياهك، وأن تغوص في أعماقك، وأن تستنشق الهواء الخارج منك.. وأن تظل أسيرة في رضاء ومتعة، وكنت قد اكتفيت بما حققته، فأي قوة تلك التي نسفت حصوني واستباحت أبجديتي، وغررت بي لهذا المستنقع.

مضى زمن على آخر جولاتي، وها أنذا أقدم بملء إرادتي على معركة أخرى، أعلم جيدا أنني سوف أخسرها، وسوف تخلف عذابات كثيرة ما أحوجني إليها، لكنني مقدم لا محالة، رافعا راية الاستسلام راجيا الشفقة بمحارب قديم أنهكته التجارب، وزادت عليها السنوات المريرة بما تركته من قلة حيلة وهوان في المحطات الأخيرة من السفر الطويل..

ربما تكون مباراة غير متكافئة، ينقصها الكثير، لكن عشمى أن تأخذك الشفقة بى، ولا تغالى كثيرا فى النيل منى، فأنا منافس فقد أسلحته عبر الزمن، ولا يترجى منك سوى الرحمة وقليل من الشفقة.. قد يكون الهروب هو أسلم الطرق للنجاة، وتجنب ويلات المرارة، لكن الوقت قد فات ولم يعد أمامى سوى الاستمرار فى معركة خاسرة، لقد فات أوان الانسحاب.

(52)

نهاية عاشق

كان عليك أن تتذوق المرارة والعذاب، لتعرف علي الأقل ماذا قدمت للمعذبات اللائي ارتبطن بك، أن كلمات القسوة والحرمان والبؤس تظل بلا معني إن لم ندرك ابعادها، وكان عليك أن تتجرع منها شيئا، حتي عندما ترددها تشعر بكل ما تحمله من آلام.. حاولت أن انسي تاريخك المضئ بالنساء والمتلألأ بالتجارب العاطفية الكثيرة والتي فاقت أيام عمري، وخشيت علي نفسي أن يكون مصيري مثل تلك البائسات اللائي خدعتهن مفرداتك الساحرة، وحصنت نفسي من كل الاغراءات التي يمكن أن تجعلني امرأة عادية في سجل مملوء بالانتصارات، لم أكن انتوي أن تسير حكاياتنا إلي ما آلت إليه، لكن الخوف كان يحركني ويوجه خطواتي، ماضيك لم يترك لي فرصة تراجع، بل كان الدافع القوي للاستمرار فيما نويت فعله.

اتفقنا أن نترك مساحة خاصة لكل منا، مجرد نفق ضيق لعوالم مختلفة وعلاقات وصداقات مع الآخرين.. نتفاعل معهم ويتفاعلون معنا، بعيدا عن المراقبة والتصنت، فليس من المعقول أن نغلق كل

الأبواب لنشـاهد أنفسـنا ونتغزل فيها ونشـيد بمحاسـنها ومفاتنها ، فلم نخلـق بمفردنـا ، ولـم نعش فـي جزيرة نائيـة!! تحكمنا قوانين إنسـانية وطبيعية لا يمكن التخلص منها، وإلا أصبحنا شواذاً فى نظر الآخرين.

لكـن جبروتـك منعك مـن أن تكون رجـلا عاديا في علاقـة عادية، اعتـدت أن تحصل علي كل شـيء وأي شـيء، أن تبدأ الـكلام وتنهيه، تؤمر فتطاع، ونسـيت أنك فقدت كثير من هذا السـحر التي كان يشـفع لك أن تمارس كل ألعاب الحواة والسحرة علي عشيقاتك، أدركت منذ اللحظة الأولـي أن خضوعي يعني انتهاء العلاقة، فكل جولاتك انتهت باستسـلام المنافسـين، فعندما يرفعـن راية الحب والخضـوع تبدأ أنت حكاية جديدة مع أمرأة أخري.

لا يبق شيئا علي حاله، فالنهار يتحول إلي ليل، والشمس تسافر ليأتي القمـر، والمنتصر اليوم يأتيه يوما يتجرع فيه ويلات الهزيمة والسـقوط مثلك، بالأمس كان يومك، واليوم بلا شك يوم انتصاري حيث تتراقص الأشياء حولى فى حركات منتظمة، تعلن عن تفتح الزهور وحلول فصل الربيع.. وكأنها قطرات من الماء تنسـاب من أعلى.. أو دموع اشـتاقت زمنـا طويـلا للسـقوط على جمـر النسـيان.. تبعثـرت الأيـام وصارت السـنوات حبات رمل.. وتسللت الذكريات متقطعة ممزقة وقد اختفت ملامحها تتسـول بعضـا من الاهتمام.. لكـن التجارب التعبـة أكلت ما تبقى من صبر.. تمنيت حتفك بعد أن فقدت قدرتي على الاندهاش..

تصلـب الوجه الحزيـن.. وتجمدت الدماء فى العـروق، حتي ذاب الحياء بين الأنفاس المتلاحقة وانتظار ردود الفعل الغاضبة، ليس هناك أحد معصوم من الخطأ، فلكل منا اخطائه المحتملة، وأرى أن ما حدث

يمكن احتماله إن لم تقف عند تفاصيله، وبذلك تعفيني من البحث عن عبارات خارقة ضنت بها ابجديتي وابعدت ما بيني وبين رجاء محموم وخجل فاق حدود الاحتمال.. ولا تنسي أن حماقة واحدة لا تساوي شيئا في بحر حماقاتك التي يشهدها القاصي والداني.. فلا ترتجي العفو، فالمباراة مازلت جارية، ولابد في النهاية من منتصر يرفع علي الأعناق، سأواصل ولن أرحمك، فلا ترتجي عفوا بعيد المنال، فالتاريخ يكتب نهايتك علي يدي.

(53)

صداقة محرمة

حسـناً.. فلتكن صداقة.. دعينـا نمزق كل كلمات العشـق، ونحرق كل خطابـات الغرام، ونلقي بكل الهدايا في سـلة المهملات أو نحتفظ بها علي سـبيل التباهي والتفاخر بتلك الأيام الجميلة التي ولت بقرارك الجهنمي، ننسى كل الأغاني العاطفية التي دغدغت مشاعرنا وحفظناها لنلقيها في لحظات الغروب.. دعينا نبدل الكلمات..ونشـوه الحروف، وتصيـر كلمـة عشـيقتي : حبيقتـي، نصـف الحبيبـة ونصـف الصديقة. ولنتـرك جسـور التنهدات التـي أرهقت الصـدور وأزهقـت أرواحنا.. دعينا نمارس الكذب مرة أخري علي أنفسنا، ونتجرد من أجمل ما فينا، أنسـي أنك كنت حبيبتي التي كان يشرق معها نور الصباح، وتنسين أني حبيبـك الذي كان يطل القمـر من بين عينيه، هذا وصفك لي ولا اضفي علي نفسي عبارات مغال فيها.

لكـن ما يحيرنـي بالفعل، هو عندما أراك فـي الطريق العام مصادفة، هـل أقف لتحيتـك وأجاملك بعبارات سـخيفة ونطلق فـي الافق ميعاد وهمي ننهي حالة الارتباك المروي الذي سنحدثه، أم أمضى فى طريقى

غيـر عابئ بك علـى اعتبار أنك أصبحت شـيئا مهملا، ونسـتعيض عن ذلك باشارة باهتة وايماءة تملئها اللامبالاة.

الصداقة ارخص حتي أنها لا تكلف شـيئا، ولا تلزمنى بشـراء زهور فى عيد الحب، أو البحث فى مفكرة الأيام عن مناسـبة أنفذ إليها بهدية تشتاقين إليها.. الصداقة أبقى وأفضل.. فهذا سيعفينى من أسئلتك المملة والمتكررة والمتسـلطة والغيورة عن ماذا أكلت، وماذا شربت، ومع من تحدثت.. ستفكك قيودى وأغلالى التي صنعها عشقك المتهاوي. ولا شـك أن هذا الوضع سـيخفف من وطأة شـطحاتك التي كانت تصيبني بصـداع دائـم وتوتـر في القولـون الذي أصبـح عصبي بفضلـك. وهذا لـن يلزمنـا بالاتصال صباحا ومسـاءا وظهـرا وعصرا وفجـرا ومن بين المواقيـت لنطمئن علي بعضنا البعض بعبارات بـاردة (ماذا تفعل، ماذا تفعلين)، ولا شـك أن هذا سـيمنحنا، وخصوصا أننا الفرصة لبدء علاقة أخـري مع امرأة أخـري غيرك بالطبع، فشـروط الصداقة لن تمنعني من العشق والحب والتوهان، وسيجعلنا نكف عن تناول العديد من الأدوية التي كنا نلتهمها من بين الحين والآخر لضبط الاعصاب.

كنـت سـجينا لتلك العبـارات المطاطـة التي كانت تسـقط على من فم بـارد لا يجيد مخارج الألفاظ، وقلب بلاسـتيكى سـريع الانكماش والانتشـار.. تحـررت إذن مـن عبوديتـك، وأصبـح خيالـى طليقا بعد سـنوات الاعتقـال التـي مارسـتي فيها كل صنـوف العـذاب والتنكيل، الآن حصلت على قرار إفراج نهائي وغير مشـروط بالمراقبة والحضور ليـلا للبيات تحـت نافذة أيامك حتي اراقب النسـمات التي كانت تغزو غرفتك من حين لآخر. يمكنني أن أنام دون ضغط أو أحساس بالذنب. فالصداقة تعطيني حقوق كثيرة وتفك عني قيود أكثر.

لا تغضبى، فهذا قراراك، وسأنتهز الفرصة غير نادم على شيء سوي أننـى أحببتك، ولم أتخيلك غيـر ذلك.. أما حكاية الأخـوة والصداقة، فأعذرينـى فأنت لسـت مؤهلة لها فـى الوقت الحاضـر.. ربما أفكر فى المسـتقبل، لكنى لا أقطع وعدا بأننى سـأفعل، فحتي شـروط الصداقة غير مطابقة لمواصفاتك المتواضعة..

(54)

شرائط دموية

بعدما اتفقنا علي النهاية، مرت الأيام بطيئة وحزينة، عانيت فيها ما عانيت من وحشة وعذاب، وظل هناك سؤال لم استطع الهروب منه، لماذا حدث الانفصال؟ حاولت جاهدة العثور علي سبب واحد يفسر ما حدث، ليس رغبة مني في معالجة الأمور وأعادت المياه مرة أخري إلي قنواتها الأولي، لكني اردت أن اعرف من أخطأ، من الجاني والمجني عليه؟ فهل يعقل أن تكون رسائلى التي سطرتها بأحر المشاعر وأعنفها، مادة لمراكب ورقية وصواريخ طائرة.

كنت أعلم أن غرور العاشق سيأتي له يوم ويرتكن فى إحدى الزوايا يرتشف من اللوعة ما يستحق عقابا صغيرا علي أفعال مشينة ارتكبها في ايامه المخمورة تائها في الخيال المصطنع مع عاشقة وهمية، وأن الكلمات التي كانت عوضا لى فى لحظات الانكسار، ستكون السوط الذى يؤرق وحدتي ويطيل ساعات الكمد والأرق، كنت أعلم أن نهايتي ستكون مأساوية لا ترتقى لتاريخ طويل من الانتصارات، لكنى على أى حال كنت أعشم نفسى بنهاية تكون جراحى فيها غير غائرة، يمكن احتمالها، والصبر على آلامها.. لكن للأسف أصبح كل شيء

غير محتمل.. كانت نظرة في عينيك تمثل عمراً من الطفولة والبراءة والحلم، والآن أصبحت صرخات مدوية ومفزعة ومخيفة.

أين أيامي التي راحت تضفر شعري، وترتب ملامحي؟ هل ارتكبت جرما استحق عليه كل هذا العقاب؟ أم أن بقائي يذكرك بضعفك وضآلتك، والحق أنني بحثت عن دليل اتهام يحفظ ماء وجهي، لكني فشلت في ايجاد سببا واحدا يبرر ما حدث، وسافرت في الأيام البعيدة محاولة استرجاع الماضي، انقب في الذكريات عن لحظة صدق، وانفعال حقيقي، احضرت الصندوق الخشبي التي كنت احتفظ فيه بذكرياتي معك لم أجد شيئا ذات قيمة، كلها اشياء تافهة تدلل علي بؤس العلاقة وفقرها الشديد.. شدتني بعض «الشرائط» الملقية في زاوية الصندوق، شرائط شعري القرمزي، هل تذكرها؟ فقد احتفظت بها، عندما قمت ذات مرة باستعراض خصلات شعري ، وأخرى برتقالية أنسابت بينما أناملك في لحظات سقوط رخيصة.. وآخرتين حمراواتين فضها الشوق إلى صدرك.. فقد كان يحلو لك أن تضفر الخصلات بأنفاسك وتنهداتك وتعيد ترتيب وتهذيب ما تطاير منها، هكذا كنت تصرح لي دوما.

فتشت كثيرا في صندوق ذكرياتي.. وكأني أفتح قلبي على مصراعيه لأفضح أيامه وأعري سوءاته، كانت محاولة بائسة وشيطانية لامساك طرف خيط أقيد به عنقك حتي ما اذا استحكم جذبته بقوة فتخرج روحك لاهثة بغير رجعة فيرتاح قلبي المتعب واشفي من آلامي المبرحة، لكني لم أجد شيئا يستحق عناء البحث، لم أجد كلمة عشق واحدة، فهل أنت عاشق سري؟ كنت ألجأ إليها ليلا متخفية لافرغ كبتي واحباطاتي عندما يشتد بي البؤس فلا يراني أحد.

لا يحتاج المرء كلمات عبقرية لينهي بها حكاية سخيفة ومملة، فقصة عشـقنا الوهمية لا تسـتحق أكثر من ذلك، لقد فعلنا الصواب بانفصالنا، نحن نموذجين سيئين للعاشقين، عندما يتبقي من علاقة عاطفية شرائط دموية علي شـكل مشـانق، فأن الامر يدعـو للرثاء والسـخرية في ذات الوقـت، ويدلل علي أننا شـخصان متواضعان. حتـي الصداقة لا ترتقي مؤهلاتنا لها.. فوداعا.. وداعا..

(55)

رحيل شهر زاد

أنتي حكاية ناقصة كتبها قلمى فى لحظة احتضار.. ونسجها خيالى فى محاولة يائسة لتضميد جراح قديمة.. وهما تكّون من زفير أنفاسي.. وخطيئة كبرى وأثم عظيم لن يغتفر..سأظل دوما ادفع ثمنا باهظا لحماقتي فى الاقتراب منك. وعندما يأتي يوم الحساب علي أن اسدد فواتيري كاملة برضاء أو قسرا، فتلك ديون قديمة يجب الوفاء بها حتي أحصل علي مخالصة نهائية، وهانذا امتثل راضيا.

يمكننى أن ادخلك من جديد فانوسى السحري.. وأحكم قبضتي على أنفاسك.. انت روح شريرة استطيع ان اصرفها وقتما أشاء.. فلا تتوهمين أملا منحتك اياه في رحلة البحث عن مخدر سريع المفعول.. لقد أديت مهمتك علي أسوأ وجه، وحصلتي علي كامل حقوقك التي لا تستحقين منها شيئا، اخرجي ببطء من صفحات حياتي، ومن دون ضوضاء، فقد سئمت التوسل والرجاء، مازلت احتفظ بمفاتيح شخصيتك الهشة، فأنا من خطط لك الطرق لتمشى عليها وتختالين، وأنا من علمك كيف تعشقين وتتكلمين، فكل بطولاتك وهمية زائفة.. وكل تاريخك الكاذب أنا الذى دونته، استطيع سحقه ومحوه فى أى

وقـت.. أنـت بعضا من الريح فـى قبضة يدى، يمكن التخلص بسـهولة منها إذا افسحت لها المجال.

تخيلـت أن الافاعـى يمكـن ان تعيش يومـا بين النـاس.. وفاتنى أن انزع سـمها واقضم أسـنانها وأهذب من طباعها الوحشـية.. يحكي عن راعـي غنـم التقط من البيداء ذئـب صغير ضل عن عشـيرته من الذئاب فأحسـن تأديبه، ولـم يخبره يوما بأنه ذئب، حتي آمن شره، وجعله يرعي مع صغاره، وفي يوم من الأيام بينما كان يعسعس في البرية اشتد الجوع علـي الذئب فلم يجد غير الصغار ليلتهمهـم، واحتار الراعي كثيرا فيما حـدث، وبعـد تفكير قليـل أدرك أن الغريزة أقوي مـن الطبيعة ودروس الاتيكيت؟

أنت يا شهر زاد بقاؤك مرهون بصياح الديك.. حتي تقلع رقبتك من فوق رأسك.. وتقفل صفحة سوداء من صفحات كثيرة احتليتي فيها بلا منازع أحطها وأقلها شـأنها.. شـاء قدرك أن تكونـى محطتي الأخيرة.. وأن يكـون آخـر اسـتعراض أقـوم به على جسـدك المترهـل وعظامك النخرة.. فلا تصدقى خطواتك المتأرجحة التي تآمل وهما بالنجاة..

عندمـا أكـف عـن الكتابـة فأنـا بذلـك أنسـف ماضيـك وحاضرك ومستقبلك، واعلن نهايتك السريعة.. فأنا الذي أملك بدايات الحكايات وخواتيمها، وأنا شـهريار وأنا مسـرور والسـيف المسـحور، وسيكتب التاريخ ما أمليه عليه، وسـأنزع عنه كل الصفحات التي ورد بها اسمك، كم انت امرأة تعيسـة وبائسـة، لـم تحسن رد الجميل والعرفان، فتحملي ذنب ما اقترفته يداك، وادخري دموعك فالأيام القادمة في حاجة إليها.. مازلت امتطى صهوة جوادى، ولـم يسقط سيفى بعد يا جارية مملكتي..

فاتنى تعليمك أشـياء كثيرة..لـم يسعفنى الوقت لتلقينك إياها.. ولن يسـعفك لمعرفة المزيد.. اسـدلت سـتائري.. وسـيعلن انتصاري.. أما مسـألة عبورى واجتيازى لحدودك الوهمية فهذا أمر يرقى إليه اليقين.. ويمكن صناعة امرأة أخري بمواصفات إنسانية.

(56)

كبرياء الرحيل

يكفينى هذا الخيط الرفيع الواصل بشريانى، وتلك النظرة الصامتة - البلهاء أحيانا- التي لا تفسر شيئاً، لكنها مقنعة بأن الحياة تسير فى خط معقول، وفى حدود دنيا ، ولا امنى نفسى بالمزيد، فهى تحافظ على قدر شحيح يمكننى من التواصل والعيش، أشعر بالخوف من انقطاع هذا الخيط ليس حزنا عليك، فأنا أعلم أنني خارج كل الحسابات والمواقف، لكنني أخشي علي أحلامي التي عشتها أن تشعر بالخجل من هول ما بلغت من امنيات ذهبت إلي الجزر المسحورة، سأتحمل هذا الوضع السخيف، حتي أبرر لتلك المشاعر الجميلة أن تمضي في حدائق وهمها وتفرح بكل ما حققته من مكاسب واهية.

لا يشغل بالى كثيرا إن كانت الشمس عمودية أو عرضية، فحاجتي منها قليل، أو أن القمر فى ليلة تمامه أو تحجبه السحب السوداء، فما تسمح به من بصيص يكفى لإضاءة بقعة من حياتي.. الشكل فقط هو ما يشغلني لحفظ ماء الوجه، حتي وان فرغ مضمونه من التقدير

والمواساة، سأهجر هذه البلاد وأرحل بعيدا، ولكن امنحني فقط حق الهروب المشرف الذي لا يجعل ضابط الجوازات يلقي علي باسئلة محرجة تكشف عن قلة حيلتي وامكاناتي الضعيفة، اجعلني أن اسير آخر خطواتي في عزة وكبرياء وبعدها افعل ما شئت، فلن اغضب، وسأحمد لك هذا المعروف الكبير.

هكذا عشت، وهكذا سأعيش، لن تغريني بأكثر من ذلك، ولم أطمح فى غير ذلك.. وكم كانت ليالى الطويلة تبحث عن خيال خصب، مجرد خيال، يجعلها تسبح فى عالم فسيح أو حتي محدود تتقطر منه بعض من كلمات وحتي لو كانت غير ذى معني.. عشت راضية بما أنا فيه.. وصبرت على عشقى بإرادتي أو رغم عني.. مرت الأيام والشهور والسنون، وظننت أنها تخبئ له فرحة.. وطال انتظاري.. لكنى لم أيأس، حتي أصبحت لى مناعات للتحمل والصبر، لم يفتر أو ينقص، ومثل لى هذا أملا جديدا.. كنت أعلم أنه سراب يتبدى لى، لكنه كان يرضيني.. التبشبث بأمل كاذب خير من أن الموت السريع.

والآن.. ما عدت أطيق التعبد فى هذه الصحراء وحيدة.. يتملكنى الخوف من ميتة لا أهنأ فيها بوداع الرفاق والأحبة، كل الكلمات التي كتبتها على الرمال عصفت بها الريح.. وكل القصور التي بنيتها أكلتها العواصف.. وضقت بنفسى بعد أن حملتها فوق طاقتها، حتي أننى لم أوفر لها كرامة الرحيل وكبرياء النهاية..

حق لى الآن مقابل عن كل هذا الحب والعشق، وهذا الإخلاص الذى وليتك إياه، مجرد مكافأة تكبح رغبة الذل التي استوطنت داخلى

كل هذه السنوات الطويلة.. ترضية بسيطة عن كل عذاباتي.. والأمر لن يكلفك شيئا سوى أن تمنحنى الإذن بأن أعطى قلبى الأمر بأن يفكر فيك أكثـر وأكثر.. هذا آخر رجاء لي.. فهل أكون بذلك تجاوزت حدودي.. أنه العشـق غير المشـروط الذي لم يكلفك شـيئا علي الاطلاق، مجرد اذن حتـي لا اخجل يوما من نفسـي عندمـا اصارحهـا بحقيقة الموقف الغامض والمربك الذي وصلت إليه، لدي من الاكاذيب الكثير، أطمح فقـط في أن أخرج من حياتك بكبرياء دون اهانات او تشـهير وقليل من الذكريات الكاذبة.

(57)

لست ضحية...!

هـل تعتقدين أن قلبى مثل قلب الأم يغفر ويسامح ويبتهل للسماء بالراحة والطمأنينة لمن يحب.. ربما يكون هذا الاعتقاد قد تسلل إليك في الفترة الأخيرة، وساعد علي تجاهلك المتعمد وغبائك المتكرر، ولم تفهمي أنني أوثر السلامة حتي لا تتفاقم مشاكلنا أكثر وأكثر، ويهمني أن اخبرك بأنني لا أملك قلب أم أو أب، أنا عاشق فقط، عاشق بكل أنانيته وجنونه ورغبته الجامحة فى امتلاك قلب من يحب وفي الوقت الذي يريده ودون وصاية. وعلي قدر ما تعطي سيتحدد المقابل، ليس هناك حبا مجانيا، فالاشياء المجانية غير ذي قيمة.

أصبحت الكلمات بلا فائدة، ما عادت تملك ما كانت تملكه بالأمس، فقدت تأثيرها عليك، او أنها عندما تصل إليك تتبخر حروفها وتتلاشي سطورها وتتحول إلي أوراق ناصعة البياض تحض على الكآبة والشفقة وأحيانا البلاهة، حتي تلك الرسالة الأخيرة لم أتلقى رد عنها، ربما لم يكن الورق متوفرا، لا اعرف تحديدا سبب إحجامك عن الكتابة، أغلب الظن أنك لم تقرئيها، وخشيت أن تكون فقدت منك فى زحمة يومك الخالى، وكأننى كنت أكتب إليك واجب مدرسى فى

العطلة السنوية، لا قيمة له ولا معنى، ورغم الأحاسيس المختلطة التي كانت تنتابنى من هذا العزوف غير المبرر، دون سبب مقنع سواء كان سلبيا او ايجابيا، عانيت في البحث عن مبرر واحد يقوى من موقفك، ويضعف من شكوكى، وجاء صمتك ليزيد الامور تعقيدا.

عاونتك كثيرا، وساعدتك كثيرا، ولم انتظر مقابل معنوى أو أدبى أعلم أنك تفتقدينه، وما كنت لأطلب شيئا خارج إمكاناتك.. نجحت كثيرا فى إزاحة كل خصومك حقا وزورا، وكنت أقنع نفسى بأن هذا عمل جدير بالاحترام لأنه مردوده فى نهاية الأمر لى، فسعادتك كانت تعنى سعادتي.. فهل تطلبين منى أن اتخلص من قلبى كى يرتاح قلبك.. لن اسامح نفسي فأنا من علمتك ان الاقصاء هو السبيل الوحيد للخلاص من المزعجين، والآن تحاولي أن تمارسي معي تلك اللعبة باقصائي عنك.

من حقك الابتعاد.. أو الهروب، أو ما شئتي.. خائفة.. شاردة.. لاهثة، ربما تكون يقظة ضمير فى غير مواعيد الصفح.. وليكن.. أى شيء يمكنك استخدامه.. إلا شيئا واحدا وهو أن تجعلى من نفسك ضحية.. أرحلي.. اختفي.. أذهبى حتي إلى الجحيم ، لن أغضب.. ولن أثور.. ولكن أحذرى أن تكسى عيناكى المتبجحة تلك النظرة البريئة والعفوية وأن تجعلى من نفسك ضحية.. فهذا معناه أننى كنت الجاني.. وهذا لن أقبل به أبدا.. قد أشارك فى نهاية مقبولة معتدلة تمحي كثير من أفعالنا الشيطانية التي شاركنا في صنعها معا، أنتي بالتحريض والايهام، وأنا بالتنفيذ والاتمام، ولكن ليس على جثتي.. أفهمى ذلك جيدا.. فلستي ضحية ولست أنا الجاني، نحن شركاء الشيطان في كل شيء!

تقوليــن أننــى صياد، وانــك فريســة، وان كل الخلاف بيننــا هو أننى أحمـل رمحا وأنتـي تحملين نغازتين وطابع من الحســن، هذا هراء، لا أنا صياد ولا أنت فريســة، نحن شـيئان متطابقان سـيئان كانا أم حسنان، اختــاري ما شــئتي من التصيفنــات، وأعلمي أن يكــون الاختيار متطابق حتي نستطيع ان نقنع الآخرين بهذا الانفصال البديع.

(58)

أنت عنواني

فاجئنـي موقفك الأخير.. وظللت اسـأل نفسـي مـاذا حدث، وهل اقترفـت ما يسـتوجب كل هـذا الهجوم المبالـغ فيه، آخر لقـاء تليفونى كنا نتبادل فيه كلمات العشـق، وكنت أسـمع أنفاسـك ما بين الحروف، وتنهداتك التي كانت تتوسـل ألا انهـى المكالمة، وظللنا فترة كبيرة من الوقـت، حتـي احسسـنا بأنه لـم يعـد هناك شـيء نتحدث فيـه، فارغمنا التعب على الافتراق! واتفقنا على تحديد ميعاد نلتقى فيه، لا أذكر شيئا عكـر صفـو الحديث، حتي كلماتـك الأخيرة، حول أننـا صرنا روحين فـى جسـد واحـد، وأن بقائى امتـداد لبقائـك، والصباح يبـدأ باطلالتي وكلمـات كثيرة لا مجال لذكرها الآن. ثـم فوجئت بهذا التغيير المربك فى تصرفاتك تجاهي.

ازدادت حيرتي فى الفترة الأخيرة، وما زاد من شـكوكى هذا العبث الـذى كنـت تمارسـه، ولا تجيد تصديـره لعقلـى، وعزوفـك المتعمد عن الاتصال والهروب المسـتمر مـن تبرير أفعال رأيتها فـى حينها أنها مسـتفزة وغير مبررة، لابد أن هناك شـيئا لا أعلمـه، وكان لزاما على أن أتروى وأفسـح المجال قليلا لهدنة مطلوبة فى ظل هذه الأجواء، لكنى

فعلت العكس وظللت ألاحقك فى إصرار طفولى عنيد وتخيلت أن هذه الطريقة سوف تؤتي بثمار وتذيل الضباب الذى تراكم وتكاثف ، لكن صراخك أفسد الأمور مرة أخرى، وضاعف من الطلاسم التي أرقتنى وزادت من حيرتي.. وبادرت باطلاق قذائف مدوية بغرض اخافتي وترويعي.

نفذت كلماتك الساخطة إلي.. شعرت بها وهى تخترقنى، توسلت إليها أن ترفق بى، انطلقت فى وجهي.. لم تحتمل أن تظل حبيسة، أعلنت عصيانها وتمردها، واجهتنى بكم رهيب من الأسئلة وعلامات الاستفهام؟ كثير منها مغرض ومزيف، حتي كدت أتلاشى من شدة خجلى، وقدرتك علي تزييف الحقائق، ربما تكون الظروف قد ساهمت بقدر ضئيل في أن نتجاهل بعضنا البعض، خشية من العيون المتراصة، أو بعض الفضوليين الذى يلهثون وراء حكاية يفضون بها جلسات نميمتهم، لكن هذا التجاهل متفق عليه سلفا، ولا يعنى بأى حال محاولة للجحود أو نكران الجميل، فهو كما قلت متفق عليه.

ربما أكون قد لجأت فى بعض المرات لطرق غير اعتيادية تتفق وطبيعة علاقتنا المضطربة، ورغم ذلك، لم ينقص هذا الأمر شيئا من المنزلة والمكانة التي تحتلها داخلي. اعتدنا على طقوس محددة وبتوقيتات مضبوطة، وكنا ننتهز الفرص الممكنة التي تتاح لنا، وهذا الوضع المرتبك لم أفرضه عليك، ولم يكن استسلامك له قلة حيلة.

علي أى شيء تلومني؟ ادراكى من حجم المعاناة التي تعانيها يجعلنى أحيانا عاجزة عن تغليف بعض العبارات لارضائك، فما تعانيه لا تضاهيه كلمات. كما أن مناقشة الأمر بهذا الشكل يضر بعلاقتنا ويقذف بها فى مهب الريح. كم كنت أتمنى أن أجهر بهذا العشق

أمـام الجميع، لكنها رغبتك الملحة والمتكـررة بعدم فضح الأمر، فلن يضرنـى شـيء مـن التصريح بمـا تفضحنى بـه عيني. فـلا تضطرنى أن أفشـى ما بيننا حتي أدلل على صـدق نواياى، ففى هذا عصيان لأوامرك التـي أحرص على تلبيتها. لـم تترك لي خيارات حلوة، ووضعتني كارها متعمـدا مـا بين الرحيـل أو الرحيل، فلك مـا أردت، ولا عزاء، لانك لا تستحق المواساة.

(59)

لم تعد طفلة

هـل آن للزهـرة أن تنتفـض مـن سباتها.. لتحتل موقعها في بسـتان العشـق، أن تعلن عصيانها على الضفائر والارشـادات الأبوية العقيمة، ونظـرات الأقـارب الحانيـة.. انتهي زمـن الالعـاب الصبيانيـة، وصار اللعـب له شـكل آخر ومـزاج آخر، ومتعـة أخري، لم يعـد هناك مجال للصمـت بعد تفجـرت ينابيع الحيـاة وتبدلت ملامحـك، يمكنك الآن أن تصرخـي أمـام الجميع بأنك كبرت ونضجت حتي صرت عاشـقة.. لـم تخف حمرة خدودك أنوثتك التي باتت لا شـك في اكتمالها، وكما يقولـون في الامثال المأثورة «خراط البنات ابدع وصور وجسـد « الآن صرت أمرأة فدعي العرائس جانبا، وتمتعي بانوثتك التي فارت عليك.

كفـى ما مضى مـن سـنين الطفولة والمراهقـة وكتابـة الاغاني علي كراسات المدرسة، بدأ تقويمك الانثوي، نظرة واحدة من نافذة غرفتك سـتوضح كثير مـن الأمور، فلا مجال للهـروب والتخفي.. الآن صرت امـرأة يمكنك التعبير عن مشـاعرك دون خوف أو تـردد. انتظرت حتي

اكتمال البدر، وها هي السماء مضيئة ومتلألأة، ولا استطيع الانتظار أكثر من ذلك..

لم تعد هناك حجج.. ألم تشعرى أنك فى حاجة إلي؟ إلى من يشاركك العمر، وأن يقتسم معك نصف القمر، ويؤنس لياليك الحالمة الدافئة، الوقت قد حان؟ لا أستطيع الانتظار أكثر من ذلك.. تعلمت منك كل شئ.. إلا الصبر.. من أى شئ تخشين؟..انتهى أوان سماع الأغاني.. وكتابة الرسائل على أوراق ملونة.. سئمت الكلام همسا.. أريد أن أرفع صوتي عندما أتحدث معك.. وأن أعلن للعالم بأن حبيبتي صارت عاشقة.

أعدك أننى سوف أكون مخلصا وفيا.. وسوف تكونين أول التجارب وآخرها.. مازال أمامنا كلام وحكايات كثيرة.. نحتاج إلى سنين طويلة كى نقول كل شئ.. أحيانا أشعر أن العمر قصير جدا، ونحتاج إلى كل سنين العشاق، ولن تكون كافية!! هدئى من روعك.. الأمر لا يستحق كل هذا الانفعال.. ربما تكون البداية هى أصعب شئ.. سنجتاز كل العراقيل معا وسنطفو علي الظروف، ونكتب قصتنا بدمائنا.. أمامنا سنين كثيرة سوف نقطعها عشقا.. سوف نسبح فى الخيال لنرسم حكايات لم ترو بعد عن العشاق..

ولأنك عنوانى ومكاني.. ولأن اسمى منسوخ منك.. وملامحى هى ذات ملامحك أدركت الآن لماذا أحبك بكل لغات الدنيا..يمتد العمر فى مقلات عيونك.. يحدثنى عن أيامى وسنينى، ويخبرنى بأن اليوم جميل جدا، لكنى أخشى من سكرات الدنيا، أن يأتي يوما اتلفت

حولى فلا أجدك.. أخشـى من امواجى الغضبة على شطآن لا تقرأ شعر عيونك.. أخشى الغرق فعلمينى كيف أسبح فى أيامك..

اليـوم ولـدت وتاريخ ميـلادى مكتوب فـى يديك.. يتجمـد قلبى، يتوقف، أحببتك.. لا حيلة.. أحببتك رغما عني.. وكأنه امرا مفروضا.. وكان أحد شـروط حياتي أن ابقى أحبك.. أن احصى نجومك.. وأزين بها كل أشـعاري.. ابحرت.. طرت.. غصت.. ورجعت لم أدرك شـيئا سـوى أنى مازلت أحبـك.. فأذني لي بالحياة وأفتحـي لي أبواب قلبك المغلقة. فالآن آن للزهرة أن تنتفض.

(60)

طقوس جديدة

من الأشياء التي لا أستجيب لها سريعا هى تغيير عاداتي اليومية.. فالحياة عندي محسوبة بالورقة والقلم، لا زيادة أو نقصان، هكذا أحاول أن اسيرها، إلا إذا كانت هناك مفاجأت وأحداث قدرية تقلب هذا النظام الذي أحرص عليه، فأنا تقليدية لحد بعيد ونمطية بالفطرة، وتبديل الطقوس التي اعتدت عليها ليس بالأمر الهين، خصوصا إذا ارتبطت فى مجملها بك، تناغمت طباعى القلقة وتوافقت مع ممارساتك وطباعك الجميلة التي تناسبني جدا وتعودت عليها مع الوقت، وأصبح الاستغناء عنها محال، استطيع اقول أنني ادمنتك وضبط نفسي علي مواقيتك.

افقدنـي هذا النظام الدقيق والمرضي فرصا كثيرة ومتع أكثر، ورغم محاولاتي الشحيحة لكسر هذّا النمط المتكرر جاءت جميعها بالفشل، ويمكنني القول أنني لم ابذل جهدا في التغيير ورضخت للروتين اليومي الذي جنبني المفاجأت، لذلك جاوزتني بعض الاشياء التي كان من الممكن أن يكون لها مردودا ايجابيا، فليس كل التغيير سلبيا.. مع ادراكي بأن السعي لعدم الرضوخ يضيف ابعاداً أخرى وأوجه شتي، لكنى رضيت عن قناعة بما أنا فيه، ولم أطمح فى أكثر من ذلك. فما

كان لـدى، كان يكفي ويزيد، وليس لدي رغبات توسـعية أو طموحات حياتية، فما أملكه يسعدني ويرضيني.

كان هنـاك اتفاق بيننا، تتنصل الآن من بنوده وتتجاهل عن عمد أهم شـروطه.. حاولـت أنا أن أحافظ على وعودى وأن التـزم بها، وكثيرا ما كنت أقسـو على نفسـى حتي لا أعرضك لأى نوع من القمع أو البطش بحجـة حرصى عليك أو الخوف أن يمسـك سـوء، التزمـت بواجباتي وحقوقـك.. ولـم أفرط فى أى منهـا، ولـم أجور على شـئ.. كان هناك اتفاق بيننا أن نمارس الحب والحياة والعشـق بعيدا عن العلانية المبالغ فيها، وألا نسـمح للآخرين من مراقبة تصرفاتنا وهمسـاتنا وأنفاسـنا ما دمنا أسوياء عقلاء لا نسيء لكرامتنا.

استقر فى يقينـى الآن.. أن طريقنا لم يعد واحـدا..وأن ميولنا تزداد فـى الاختـلاف والتباين كلمـا مر الوقـت.. وأن أية محاولـة لرأب هذا الصدع الذى طرأ علينا، سـوف يكون محاولة فاشـلة.. ولا أدرى لماذا بدأ الملل يتسرب إلى نفسى فى الفترة الأخيرة.. وأصبحت غير شغوفة على البوح بمشـاعري علي قوارع الطـرق، الوضع الآن أصبح مختلفا، بل أشعر إنه بات حملا ثقيلا يصيبنى بالغثيان عند الشروع فيه.

لقد مللت تمردك المسـتمر وتحريضي علي الانتشـار السـريع، لن أعـرض عواطفي فـي فاترينات العشـاق، فحكايتي معـك حالة خاصة واسـتثنائية لا تهـم المتطفليـن، ولن أسـمح لأحـد تناولها مـن بعيد أو قريـب، كان هناك اتفاقا بيننـا ألا نوغل فى هذا المسـتنقع الرتيب الذى بـدأ يزحـف على جينات المقاومـة ليضعفها فى استسـلام مربك ومثير للشفقة أحيانا.

عندما يأتي اليوم الذى أمارس فيه العشق معك ليل نهار، فتأكد أننى أكفر بذلك عن شـئ اقترفته فى حقك.. فأكثر العشاق كلاما هم أكثرهم ارتكابـا للأخطـاء، فلا تدفعنـى للكذب حتي لا اضطـر لخيانتك عندما يفيـض بى الكيـل، عاداتي جزء من شـخصيتي وإذا حل عليهـا التغيير، يكون ذلك ايذانا بأنني أسـير في اتجاهـات قد لا ترضيك، وأنا حريصة علي ألا أفعل شيئا لا يرضيك.

(61)

فاتورة حساب

مازلت تمارسين كذبك الذى لا تجيدين تمريره، رغم أنه عادة اصيلة منذ نعومة أظفارك.. كنت أعلم انك تخدعينني وتستغلين ثقتي، ولم أكن يوما معك صلفا بل منحتك فرصا كثيرة للاعتراف وتبرئة نفسك من أى شيء قد تعلق بك رغما عنك؛ أو هكذا وجدت مخرجا لعدم الريبة.. لكنك كنت تغالين فى نقائك وإنسانيتك.. وتتهميننى بعدم الثقة والشك.. ورغم أن نداءاتي كانت كثيرة إلا أن إصرارك بدد داخلى أى شك، فقدرتك على الإقناع جامحة لا يمكن التصدى لها، بل المحزن أننى كنت أعنف نفسى كثيرا على إلحاح تساؤلاتي التي كانت تزعجك أكثر الوقت.. يبدو أنك امرأة غبية.. لا تتعلم من اخطائها.. وتصر فى تحد وجهل على ارتكاب ذات الأخطاء دون مراعاة لتكرارها أو تجديدها بين الحين والحين.. ليس أحد معصوم من الخطأ، لكن حتي الكذب والغباء يحتاجان قدراً من الذكاء والحنكة.

تفوقت على الكثيرين وسجلت أرقاما غير مسبوقة فى التمتع بالغباء، ليس لأنك لا تتعلمين من اخطائك الكثيرة، وأنما لاصرارك علي ارتكاب تلك الحماقات دون أن يكون هناك فارق زمنى بينها. ما

يحزننـي عدم قدرتك على توظيف الكذب الـذى لا تبرعين فيه، وتأتي اخطـاؤك السـاذجة لتكشـف عن حجـم السـطحية والبلاهـة. أرجو لا يترسـخ لديك بأنني أتصيد الأخطـاء، فعلى العكس قد تحملت الكثير، وأكثر من الكثير، وكنت أعشم فى الأيام أن يكون فيها التجربة والخبرة، لكنك أفسدت كل الفرص المتاحة وغير المتاحة، وأصبح رصيدى من الصبـر صفر، ولا أعتقد أنك ترتضى أن اتسـم ببعض من غبائك، يكفى ما أعانيه، ولا أرتضى عليك معاناته..

دعينا نتحاسـب عن كل الأشـياء.. عـن عمرى الضائـع فى عينيك، عن أيامى السـابحة في بحور أنانيتـك.. عن أمنية تبحث عن مرفأ ترتاح فيه من ظلمة قلبك..ولندع نواح النسـوة جانبا حتي لا تتدحرج كلمات العتـاب ما بين الرغبة فى الإشـفاق وضياع الحق بيـن أنين وآه.. الحب فى أبسط معانيه عطاء.. لا ينتظر كشف حساب.. لكنك أخطأت حروف الكلمـة.. واردتي أن ترسـمى قمرا بغير نجوم.. شـريدا وحيـدا كئيبا.. فـى سـماء عابثة مطرقة للصمت، سـابحة فـى الأوهـام.. وللصرخات الكاذبة.. هل يعقل أن يولد قمر يتيم.

لا تصرخى والتزمى الصمت.. لا تجرى.. لن تجدى تلك الأفعال.. لسـت مجنونـة.. أنـت أعقل امـرأة فـى التاريـخ.. تحاصرنى الأسـئلة المخنوقة.. لن استسـلم.. آن الآن أوان الحساب.. جمعى ما لديك من شجاعة وأتلى ما عندك من اتهامات.. أحببتك.. ملء القلب والوجدان وسنين العمر الباقية والفائتة والمنتظرة حنين الأيام.. دغدغت مشاعرى تحت قدميك.. عبأت الشـمس فى كفى ونسـجت من عمرى عقود فل وياسـمين..أخلصت حتـي ذابـت كلمات الحب فى شـفتي.. لم أبخل يوما بقصيدة شعر.. نظمت فيك أبيات المجنون..

أعطيتك كل الأشياء.. كل الأشياء.. العمر والإحساس والحكمة وقليلا من بعض الحكايات.. ومنحتك دفء مشاعر فياضة.. لم أبخل يوما.. أيكون عزائى أن تمشى على عظامي.. أن تشرب شفتاك المجرمة من مجرى دمائي.. فلنتحاسب لربما يكون الحق لك.. فلنتحاسب الآن.. فكل الأشياء تنهار على رأسي.. وربما يكون الحق لك.. الحق لك.. الحق لك.

(62)

خيانة مشروعة

لا أملـك سـوى الاعتـذار.. لكن هـل يكفـى الاعتـذار لتبرئتي مما فعلت؟ هل تشفع لى كل كلمات الدنيا، وعبارات التوسل؟.. هل هناك عبـارات عبقريـة تسـتطيع أن تخترق عنـادك، وتذيب جبـال الثلج التي تراكمـت فـوق قلبـك؟ وأن تزيل شـحوب عينيك، وذبـول ضحكتك، وشـرودك عنـي.. هل هناك جمـل لم تقل بعـد، حتي أرددهـا عليك.. فأحصـل علـى العفو؟ لا توصـد كل أبوابـك أمامى، وتذكـر بعضا من وقـت اقتسـمناه سـويا.. وردة احتوينـا رحيقها، ضحكة لـم تكتمل إلا بيـن شـفتينا.. تذكـر كل ذلك.. كلنـا نخطئ.. ليس هنـاك أحد معصوم مـن الخطأ، أعـدك بأننى لـن أكررها مرة أخـري.. لا تنسـى أننى الذى اعترفـت.. كان من الممكن أن تسـير الأمور بهـدوء لولا هذا الاعتراف المجنون، لا تجعلنى أشـعر بأننى أخطأت مرتيـن.. اعترافى دليل على حسن النية.

من حقى فرصة أخري.. أثبت فيها أن ما حدث كان شـططاً، نزوة.. سـحابة عابـرة لم تـدم كثيرا فى سـمائك الصافيـة ، حاولـت أن أعرف الفروق بينك وبين الآخرين، وهل تسـتحق كل هذا الحب، حاولت أن

اختبـر مشـاعرى وأن أقيس درجة حـرارة حبك فى قلبـي.. حاولت أن أكون مجنونة فكن عاقل.. وسامحني.. لن أفعل شيئا آخر يغضبك، لقد تعلمـت الدرس جيدا، أعدك بأننى سـأكون وفيا مخلصا، لا تسـتهوينى التجـارب المجنونة أو الشـطحات الصبيانية، أعدك بأننى سـوف أكون ملتزمـةا حريصة عليك، أعـدك بأننى لو خنتك مرة أخـرى فلن أعترف لك..

أخشـى الصــدام معـك، ومواجهتك، فـلا تدفعنى أن أقـف خصما أمامك، سـأكون صريحـة معك فلا ترغمني علي الكـذب مرة أخري.. ولا تفتعل معى المشاجرات، تستطيع أن تقيم الأمور بشكل متحضر، لا تصرخ في وجهي، صوتك يفزعني، فأنت فى النهاية جنتلمان محسوب عليه تصرفاته وأفعاله، تجيد معاملة النساء، فتحلي باللياقة، ولا تدفعني بيديك أمام المارة.

لـدى قـدر ضئيـل جدا من الجلـد، ولا أعـرف عواقب مـا ينتج عن شـحاحة صبري.. مجاراتك فى هذا الجدل محاولة يائسة لرهان خاسر لا فائـز فيـه.. مازال الوقت براحا، فلا تجتـاز الخطوط الممنوعة.. فلن اسـتطع أن اتلقـي لكماتـك وصراخـك أكثر مـن ذلك، لم تكـون أولى الحماقـات، ولن تكون آخرهـا.. لكن العادة غالبا ما تؤثـر التغيير لقتل الملـل أو تخفيـف روتين التكرار، لـذا نحاول أن نمـارس لعبة الخداع على أنفسـنا، ونختلق بوعـى أو بدون وعى أزمات، عندما سـنحت لي الظروف في الماضي أن اقف مكانك كنت أكثر شـفقة منك، وتجاوزنا الأزمة، لأني سامحتك، فسامحني.

نظراتك الحادة تخترق أنوثتي وتسئ لها، كما أنها تسيء لرجولتك.. لأن كبرياءنا شئ واحد، لا يقبل القسمة على اثنين.. فلا تفرض وصايتك

المنقوصة على، أو تتوهم أنك وقعت عقدا باحتكاري.. واحذر أن تغزل بطولات وهمية على نول خجلى، فلا تنتشى بانتصارات مزيفة، منحتك إياها حرصا عليك.. أشـد ما أحزننى أنك لم تفهم لحظات صمتي التي كنـت آمل فيها أن تراجع نفسـك.. وتخفف من حـدة كلماتك.. لكنك للأسف سولت لك نفسك أن هذا انتصار مبكر لمعركة وهمية، لم يكن صمتي خضوعا وانكسـارا بل ترفعا عن النزول فى عراك لا منافسة فيه، أمامـك خيـاران لا ثالث لهما: أمـا أن تغفر أو تمضي، فمـا فعلته كانت خيانة،اعتـرف بذلـك ولا انكر، لكنها خيانة مشـروعة حتي أظل احبك وأدرك الفروق بينك وبين الآخرين.

(63)

قاتلة

توغل السكين الصغير الحاد في القلب المتعب، تسلل وتخفي واطلق طعناته المتوالية المتأنية فأحدث جرحا غائرا، تدافعت الدماء يمينا ويسارا..نزف الجرح.. لم يشعر احد بآلامي.. انشق صدرى نصفين وخرجت آهاتي تبحث عن عيون حانية، لكن كل العيون جامدة كل القلوب جاحدة لا تخفى حدتها وغيرتها وحقدها الظاهر، وكأنها كانت تنتظر حتفى، وما كان احوجنى اليك حتي القى بنفسى داخلك، وابكى وابكى.. الملم جراحى المبعثرة واشيائى الضائعة واعيد تكوينى من جديد، اجفف دموعى ربما يندمل الجرح الغائر وتخفت الامى، ويا ليته ما يطيب ففى شفائى نهايتي وخلاصي.

هل بات العشق الجميل من ليلة وضحاها وصمة عار نحاول أن نخفي ملامحها عن تلك العيون الواقفة خلف الجدران تترجي لنا الخطيئة والمذلة؟ هل يعقل أن يكون هذا العشق الذي حمل قلبينا وطاف بها فوق الاغصان مهددا بالملاحقة والمتابعة والمحاكمة ممن ذاقوا عسله وتمره؟ وهل يعقل أن نقحم هذا الوليد البديع في تلك

المعارك الضارية لنشوه ملامحه جميلة ونرهقه بميراث متعب ومرهق، وهو مازال يخطو خطواته الأولي.

رحلة نحو المستحيل، كيف تغيرت كل الالوان الطبيعية فجأة الى لون رمادى كئيب يبعث على الحسرة والتشاؤم؟ تترامى الاسئلة من اليمين ومن اليسار تبحث عن اجابات منطقية فى زمن اعوج وملتوي. هل أغفلنا قراءة الواقع لهذه الدرجة، أم أن سكرة الحب اغشت عيوننا وحجبت الرؤية عنا.

انتصف الطريق الوحيد الذى كنا نسير فيه، وتغيرت معالمه، وصار كل منا فى اتجاه معاكس حتي النظرات اليتيمة اصبحت محرمة فى زمن العرى، لكم ما شئتوا من افعال وتصرفات خارج السياق، اما انا فيجب على التزام الحكمة والاصول، وان اضحى حتي اكون بذلك قد ضربت المثل الاعلى للطغاه الصغار، فأنا القدوة التي يجب ان تحتذى وانتم الشاهدين على ان انفاسى تخرج فى الاتجاه الصحيح وان قلبى ينبض حسب ما ترون، وان خيالى يذهب فى الطرق التي ترغبون، وان احب ما اكره واكره ما احب فتلك فضائل الكبار والعقلاء والبالغين، فتبا لكم يا ابناء الشيطان.

لم تنته اللعبة بعد، وهناك جولات أخري بيننا، فأنا أعلم نواياكم جيدا، وادرك مقاصدكم، ويمكنني بسهولة شراء ضمائركم بأبخس الأثمان، ولولا حرصي عليكم لمثلت بجثثكم علي قارعة الطريق، فلا تجبرونني علي أن أفعل معكم ما لا ابتغيه، وأحذروا نفاذ صبري، فلن يشفع لكم شيئا، ولا تلوموا غير أنفسكم عند الغضب.

الوحـدة والعزلة والحرمـان والبؤس هى هداياكـم الجميلة فى اخر فالنتين، ان اصير سـجينا هو منتهى الحرية، أن ارشـد عواطفى او اكبلها هو العقل بعينه، تسلبون قلبى وتقطعون شراييني وتقبضون على روحى وتحددوا لى طرق السير والوقوف والانتظار ثم تطالبوننى بكم وافر من الحـب والحنان والرعايـة، كيف؟ فبعد انقباض روحى وانحسـارى لا فائـدة منى ولا رجـاء، فعبثا ما تحاولون، لن يخرج منى سـوى الاهات والالام ولكم فى ذلك نصيب وفير فلا تتعجلون.

(64)

مخـــادع

خدعـت مثل غيرى فـى بداية الأمـر، وتداركت خطئـى بعد ذلك.. وحاولت أجد تفسـيرا منطقيا يربط بين أظافرك الطويلة وتلك الابتسامة الصفراء المرسومة دائما على شفتيك..لكنى عجزت.. وارجعت ذلك فى محاولة يائسـة إلى أن ابتسامتك هى الحبل التي تجذب به ضحاياك ثم تنقض عليهم، قد يبدو اسـتنتاجا طفوليا. لكنه اجتهادى المتواضع.. والأقرب لتفسـير شـخصيتك المريضة التي تحـاول أن تلق علي بالتهم الباطلة.

مازلـت تتسـكع بكلماتك المطاطة علـى أرصفة الحاجة.. تتوسـل العطـف والرجـاء بينمـا أنت غـارق في ملذاتـك وانانيتـك، تحاول أن تكسـب ملامحـك الشـريرة الخبيثة قدرا مـن الطيبة والعفويـة.. فتجيء خيباتك السـريعة.. تحيـك مؤامرتك حتي تتصدر الصفـوف الأولى.. تنـال جولات كثيرة.. لكنها ضبابية ستتلاشـى مع أول مواجهة حقيقية، عليك أن تواجه نفسك قبل أن تحاسب الآخرين.

ما يحزننى، ليسـت قلة إمكاناتك المتواضعة، فهى معلومة للجميع، ولكـن هو ثقتك الخادعة بأنك صاحب مهارات، الجميع يشـفق عليك

من هذا الطموح الذى سوف يكون مردوده شديد السوء. ولكن قدرتك علـى التباهى بأشـياء لا تملكها هو الشـيء المقلـق.. وحرصك الدائم بالعـزف علـى نغمات شـاذة تثيـر استياء كل مـن يسـمعها.. فقدرتك على تقييم الاشـياء مازالـت ضعيفة وفقيرة جـدا.. ولانك رجل نصف موهـوب ومحدود الذكاء تأتي شـطحاتك مدعاة للضحك والسـخرية من البعض.. بينما عمليات السطو الإنسانى والمغالاة تكشف كل يوما وجها قبيحا من وجوهك واقنعتك المزيفة والمتعددة..

لن أرضخ لهمجيتك، ولأساليبك السخيفة فى التعامل معى، سوف انـزع قيـودك التي ارهقـت معصمى، وأطلق لنفسـى بـراح الانطلاق.. سئمت وصايتك الطفولية الجامحة، كان أولى بك أن تراقب تصرفاتك المسـتفزة الطائشة، أعلم أنك لم تتخلص من عقدك، وأن ما تفعله معى لن يزيل عنك مشـاكلك النفسية، لست سـجينة ولست سجانى، فلماذا تحدد إقامتي في مملكتك الضيقة وتفرض على ممنوعاتك وتمنع عنى الهواء والتجوال.

لسـت تابعة لـك.. لى شـخصيتي المسـتقلة وتفكيـرى الخاص بى حتي وإن كان محدود فهو يروقنى.. فمن جعلك تتسلط على تصرفاتي بتلـك الصورة الظالمة التي لم تراع فيهـا أى لياقة أو ذوق.. فاض كيلى وأصبحـت غير قادرة على احتمال أفعالك الصبيانية، لقد حاولت مرارا أن أجـد لك أعـذارا. لكنك لم تـراع الحدود الدنيـا للتعامل، واعتبرت إنه استسـلامى ورضوخى صك لفعل أى شـيء.. لم يحزننى جموحك وسـذاجتك والتلـذذ بعذابى فتلـك تركيبتك المفككة التـي لا حيلة لى فيها، ولكن ما أصابنى بالسخط حقا هو اعتقادك بمشروعية اذلالى..

اختـرت الآن الابتعـاد ، فلم تجـدى معى المسـكنات، أصبح الألم غيـر محتمل، ولم تعد لـى تلك القدرة التي كانـت تعيننى على احتمال ويلاتك.. احتاج بعضا من الوقت كى اعيد حسـاباتي مع نفسـى، وهل سـوف تكون مناعتـي قادرة فى المرحلـة القادمة علـى تحمل مزيد من شطحاتك.. خطيئتي الكبرى التي اقترفتها هي مقارعتك بالكلمات لان ذلك أضاف لك شرفا لا تستحقه.. وانقص مني بعضا من وقاري..

(65)

سامبا

معذرة يا عزيزتي لا أجيد السامبا فهى رقصة تثير أعصابى، وتصيبنى بالدوار، اعتذر منك على جهلى وقدراتي المتواضعة، فأنا قادم من إحدى القرى البعيدة القابعة فى بطن الوادى، وكل علاقتي بالرقص كانت مشاهدات سينمائية، حتي أننى لم امارس يوما التحطيب وهى رقصة شائعة بقريتنا، أرجو أن تتفهمى موقفى جيدا، فتلك الممارسات لم تكن تسترعى فضولى فى يوم من الأيام، وحاولت أن اتعلمها حتي أرضيك، وما جنيت سوى سخرية الآخرين وتهكمهم على طريقتي البدائية والمفتعلة، ناهيك عن صرخاتك المتوالية عندما كانت تخطئ قدمى وتصطدم بحذاءك فتصيب اظافرك الرقيقة وتؤلمك، فدعيني أتخذ مكانا فى إحدى الزوايا لمشاهدة الآخرين وهم يتلوحون يمنيا ويسارا..

اختلاف طباعنا لا يجب أن يقف فى سبيل اقتناص متع الحياة لبعضنا البعض، فالرقص يمثل لك رغبة ملحة فى الانطلاق والتحليق والمرح، ويعطل فى حواسى وادراكاتي، كما أنه يزيح عنى قناع التحضر الذى

أخفـي وراءه خصائلي الريفية المتشـددة.. فدعينا لا نرضخ لاختلافاتنا ونتصرف بتلقائية حتي لا تتسع بيننا المسافات اكثر مما يجب.

لا تبتأسـي يمكنك دعوة شـخص آخر لمراقصتك، جهلي بالأشياء يمنعنـي من التعبير عن أى شـعور بالغيرة أو الغضـب، ولا يمكنني بأى حال حرمانك من شـيء تعشـقينه، فأنا أخشـى أن يتسـرب الملل إليك من حكاياتي السـخيفة، كما أنها لن تثر فيك أى إحساس بالمتعة؛ هكذا يبدو لى من ملامح وجهك التي بدأت تتوتر وتختفى منه الابتسامة التي لازمتنا من بداية السهرة.

انتصف الليل علينا، أشعر بأطرافك وهى تنتفض، تحاول الانطلاق فلا تحرميها من متعة تشتاقين إليها، فسوف أحرص على مشاهدتك من مقعـدي، ويمكنني أن أعاود حديثي الممل بعد أن تنتهى من رقصتك.. فأنـا أدرك جيدا بأننـي رجل أتي من قبر مظلم لحفلة صاخبة وربما دون دعـوة أو رغبـة مـن الحضور، فـلا تشـعريني بالإحراج أكثـر من ذلك، ومارسي حياتك الطبيعية.

عشـمت نفسـي بحديـث شـاعري علـى ضوء الشـموع وموسـيقى هادئة تنسـاب علينا، فترقص قلوبنا على انغامها حتي يسـتبد بها التعب، خاصمتنـي الفرحة كثيرا، ورغم سـعيي لمحاكاة الآخرين والتشـبه بهم إلا أنني لم أنجح. ولم يعد هناك وقت كاف لتعلم ما فاتني!

لن يتسـرب لى الملـل ويمكن قتل الوقت بأشـياء كثيـرة، فالأطباق مليئـة بالطعـام ومعدتـي خاويـة، كمـا أن الوجـوه كثيـرة وأحمـل مـن الفضول ما يجعلني أتشـوق لإدامة النظر إليها. ثم أن عيناى لن تبرحك وسـتظل تتعقب خطواتك وأنفاسـك، وأعدك بأنني سـأحاول أن اتعلم

كل الأشـياء التي تقربنى منك، ولكن امهلينى الوقت الكافى حتي أكون عنـد حسـن ظنك فى المرات القادمـة، وعذرى أننى لـم القاك أول مرة فـى حفـل راقص، ولـم اقدم فى بطاقة تعارفنا أننى أجيد السـامبا، وأظن أن صراحتـي كانـت أحـد الدعائم التي بنينـا عليها علاقتنـا، والتي ارى أنهـا تتهاوى الآن مع صوت الموسـيقى الذى يحرك مشـاعرك أكثر من كلماتي البائسـة التي لا تجد اذن تسـمعها بعدما اسـتولت عليها نغمات السامبا.

(66)

طفولة

مارست الطفولة منذ زمن بعيد، حتي بعد أن تقدم بي العمر، استهوتنى براءتها ونقاءها عندما ولت سنواتها، لم تفزعنى نظرات الآخرين من تعلقى المحموم غير المبرر والشاذ من وجهة نظرهم بها وبطقوسها وجنوحها الذي لا يهدأ. ورغم ما تجاوزته من خبرات وتجارب، وصار ما كان مقبولا من قبل بالأمس غير مألوفا اليوم، لم أعبأ كثيرا بردود الأفعال وصرت على سجيتي أو عنادى.. أفعل ما أريده، وفي الوقت الذي أريده، أصرخ دون سبب، وأضحك دون سبب، وأطلب أشياء لا أحتاجها.. ولا تعنى لى شيئا..وعندما أحصل عليها أزهدها بسرعة شديدة، وأحيانا أكسرها لأطلب المزيد.

رقصة «السامبا» يا عزيزي حالة من حالات الاعتراض علي المألوف، ومقاومة مشروعة للخمول والعجز، ولم يفاجئني موقفك منها، ولم أطلب منك ممارستها، فأنت بطباعك وخصالك وطريقتك تملأ دنيتي فرحة ومتعة، و"السامبا» لن تضيف لك شيئا، بل ربما تأخذ بعضا من جمالك ورونقك ورجولتك التي أذوب فيها وأحسد نفسي

عليها. واستمتاعي بالرقص يكتمل معك، ودونك فلا معني أو سحر للسامبا او للتانجو.

طباعنا مختلفة، وهذا سر من اسرار حلاوتها ونضارتها، أعترف بأنني أحتاج دوما لكلمات التشجيع والثناء والتي لم تحرمني أنت منها بل علي العكس تكثرها وتجودها بعناية واتقان وحكمد، وكثيرا ما أرى نفسى تحبو خلف الأشياء المفتعلة الصاخبة، ولا يهمنى أن أكون مثار سخط أو تهكم الآخرين، وكل ما يشغل بالي ألا أكون مثار سخطك، وأن احاط دائما بدفئك الذي يقويني علي مواجهة من حولي.

تجاوزت ما تجاوزته من عمر.. وزحف الشعر الأبيض على رأسى الذي اخفته الاصباغ، وتوازت تجاعيد وجهى وانكمش عنقى الذين زين بعناقيد الفل التي تطوقني بها، وبطأت حركتي قليلا لكنها انسجمت مع اعتدالك، احتفظت بألعابى القديمة فى صندوق خشبى، استعيدها حينما اشتاق لطفولتي وكثيرا ما يحدث ذلك، أستعيد الضحكات الفائتة، عندما تقسو الحياة علي، وتنفر منى حالات الرضا والقناعة.. فعاملنى وكأنني طفلة.. ولا تقسو على.. لن تجدى مشقة فى تعليمي،.. فأنا إنسانة لا يجدى معها العنف.. فالعنف يزيدنى حماقة وعناداً.. وأنت أرق من النسيم ويمكنك تطويعي وترويضي وفق مساراتك.

يخيل لى أحيانا، أننى لست فى حاجة إلى رجل، بل إلى طفل لا يشغله كثيرا أفعال الكبار، يتوحد معى، حتي إذا ما رأي الأشياء المفتعلة الصاخبة؛ يحبو خلفها مثلي.. يشاركني ألعابي ويخطف مني الحلوي، ويمارس علي الرجولة اذا اقتضت الظروف ذلك.. نعم أحيانا افتعل الضجيج حتي استرعى الانتباه، أحتاج لبعض الكلمات البسيطة، وقليل من العناية والرعاية وطول البال والصبر على شطحاتي.. مازلت احتاج

لكلمات المجاملة التي تجعلنى لا أكرر أخطائى مرة أخرى، فأنا سريعة التعلم.

انت لست رجعي، فأنا أشعر أن عصريتك تفوق كل مدنيات الدنيا، وإذا كنت بهذه الخصال وتلك الروعة رجل بدائي، فأمنحني شرف أن أكون راعية غنم في قبيلتك.

(67)

تــيــتــانـيـــــك

نســتطيع الآن أن نذهــب حيثمــا نشــاء وفــى الوقــت الذى نظــن إنه الافضــل دون ضوابط أو معاييــر وقتية، مازالت هناك أماكن شــاغرة لنا تســهر حتي الصباح.. لســت كونتيسة من القرن التاســع عشر، ولم أكن يومــا بحــار فى مراكب صيــد صغيرة.. دعك مــن هذه القيــود والتقاليد الســخيفة التــي تقــف حائلا بيننــا، وتفقدنا شــغف الحيــاة.. انزعى ذيل الفســتان الفضفــاض الــذى ترتديــه ويعيقــك عــن الحركــة ويجمع فى أطرافه بقايا الأرض، واخلعى كعب الحذاء الذى يثقب الاسفلت، لسنا معنييــن بتلك المظاهــر التي تجعلنا أشــبه بالقرود عندمــا تحرص على اتباع البروتوكول، فتثير ســخرية البعض وتفقد أهم سماتها التلقائية، أو كتلــك التماثيل الرخامية الجميلة التي تبهر مــن ينظر إليها، وعندما يهم بملامستها يشعر ببرودتها الشديدة وبثباتها المميت.

لنجعــل لكل يوم أهميته؛ نملأه حيوية وطفولــة، ونحمله بين عيوننا الملتاعة وأكفنا الملتهبة، نطعمه عســلا ولوز فينشــر شــذاه على شفاهنا حتي نرتشــف النشــوة ونذوب فى المتعة، ولا نعبأ بشيء و إذا ما ارتوينا

نعيد مرة ثانية وثالثة، ونعلم الحب أشياء جديدة لم يدركها مع العاشقين الآخرين، ونخترع طرق جديدة للحياة، فالتكرار يميت الحب ويصلب الشرايين ويحول الشغف إلى بلادة وروتين.

دعينا نتصعلك في الشوارع حتي ساعات الليل المتأخرة، نخلط الليل بالنهار والشمس بالقمر.. نمحى عقارب الوقت البطيئة والسريعة من لحظاتنا.. نقتسم البرودة بين شفاهنا، ونرتشف في الحانات الفقيرة أردأ أنواع النبيذ، وبصحبة أشخاص هامشيون يكدحون عناء النهار، ويجمعون قروش قليلة حتي إذا ما اتي الليل بعثروها في الرهان وعلى كئوس النسيان وساقطات الشوارع المظلمة، وعندما تفرغ جيوبهم منها يطلقون ضحكات وصرخات ولعنات، دعينا نرقص حتي نفقد وعينا أو يعى الحرمان ما حوله من بهجة فيشاطرنا اللهو.

سئمت النظام واتوق لبعض من الفوضى، ربما تكون أكثر متعة، تعالى نلقى بالشروط المدرسية ومحاذير الصحة النفسية والبيئية عرض الحائط، نرقص على أنغام الضفادع، ونتخلص من كل نواقصنا الاجتماعية، نكون أكثر تناغما مع ما نشعر به، نفرغ ما في حلوقنا على قارعة الطريق ولا نكترث بالمارة..

تعالى نكذب على عجوز تنتظر على شط الايام حبيبها الذى غرق شراعه، ونقسم لها بأنه مازال على قيد الحياة، يبحث في قاع المحيط عن لألئ ليصنع لها خاتم الزفاف وانه قادم إليها بعد يوم او يومين على الاكثر.. تعالى نرشد الكلاب الجائعة عن صناديق القمامة لتأكل.. وليس كارثيا ان نشاركها مآدبها..

انت امرأة مذهلة أتت فى زمن مزدحم ومتجمد.. سأكون عازلا بينك وبين الجليد حتي لا يتسرب إليك وتشعرين ببرودته.. لكن عدينى أن تحافظى على سخونتك وتوهجك، وحتي إذا نفذت البرودة من خلال اصابعى المتشبثة بك.. فأرجو أن تحلى وثاقى.. فبقاءك يعنى قيمة لحياتي، حتي وأن تجمدت فى قاع المحيط، فأنتي الأقدر على سرد حكايتنا الجميلة لكل العاشقين، وعندها ستكون حياتي شيئا رخيصا لأنها أرتبط بك، وفاضت روحي وأنا اتطلع إليك.

(68)

قوس قزح

وكأنك قوس قزح يحمل ألوانه الخالدة التي تضيء السماء وتزينها.. أهازيج العيد وضفائر الفرحة فى رؤوس البنات البائسات اللائي تهبهن الحياة لينعمن بالستر.. ضحكات الاطفال ونظرة الرضا والطمأنينة وهم في أحضان أمهاتهم، وهج تهادى على أيامى الظمأة فأشبعها.. قبس أبهج طرقى المعتمة وأضاء فيها السراديب الكاحلة، تبخرت فى الجو.. وتلاشيت لتمنحني الحياة، بينما تتساقط أحلامك في قاع المحيط تلتهمها الأسماك المتوحشة، وتمضي دون أن تترك أي شيء يستدل منه على عنوانك أو مكانك، وكأنك تقصد تضليلي، حتي تحرمني من متعة وضع زهور علي قبرك، او الاستئناس بالذهاب إليك عندما توحش الأيام وتستبد في سخطها.

وهبتني الحياة ورحلت فى هدوء.. ومحيت كل الاشياء التي تخصك وتشير إليك حتي إذا ما بحثت عنك اتهمني الناس بالجنون.. كان هروبك الاختياري غير المتوقع بمثابة نهاية سريعة لحكاية لم تبدأ

بعد، وكأنه بداية لشروق شمس في سماء غيم عليها السواد وطاف القمر في ارجائها فجأة.. وأصارحك بأنه أربكنى وقيد من حركتي، ولم يمهلنى الوقت كى اتعقب خطواتك، ربما كنت تدرك كل ذلك، قرارا فرديا لم يراع فيه مشورتي أو تنبيهي.. أو حتي وداع على مرسىٰ وهمي.

لم تترك إلا الحيرة وعلامات الاستفهام.. وليل ملأه السهد والأرق والعذاب.. وأصبح العثور على هذا الضوء ولملمته عملية شديدة التعقيد.. محالة التحقيق.. كنت أعلم أنك زئبقي لم يسمح لى الإمساك بك.. كالبرق يصعب رصده.. نسمه عابرة أتت فى ليلة اعجازية وتوارت مع الريح.. ضبابي يصعب تحديد ملامحه..مازلت اختزن حكاياتك؛ أسرارك ، لم يبق لى غيرها.. باتت الذكريات هى ملجئى وملاذي.. تصبرنى أحيانا ، وتطلق أحيانا سياط الأسئلة المستحيلة؟ التي أعجز عن ايجاد اجابات خيالية لكثير منها.

تستبد بى الوحشة ويتملكنى شعور بالعجز.. مشطورة أنا نصفين أنتظر طيفك من العدم كى ألملمه من جديد.. حتي تعيد الحياة انتفاضتها فى خمولى وانكساري.. أيزيس العصر الجديد التي تطوف الأرض بحثا عن اشلاء اوزريس المنتشرة في الأرض والبحر. قضى على قلبينا ألا يرضيا.. من حرقة لا تنقضى وحزن لا تخمد ناره.. فهل الاستسلام إحدى فضائلى القديمة ذريعتك الآن للخلاص مني..لازال لدى أمل.. أو أن شئت شفقة.. أرجو ألا أحرم منها، في حلم يطوف نومي الذي انقطع بغيابك.

ظللت اسأل نفسى إذا كان الرحيل أحد مشروعاتك المؤجلة، لماذا كان الإصـرار فـى المجـيء؟!! تمضـي الأيام بـلا أهميـة بعدما فقدت قدرتهـا علي التوهج، وأصبح الهدوء والسـكينة عـادات يومية متكررة أماتت الرغبة في الحب وصلبت الشـرايين وحولت الشغف إلي بلادة. أيهـا الخـارق الاعجازي القـادم من كتب التاريخ وأسـاطير العاشـقين لماذا رحلت؟ وهل كان عقابك أن تتركني وحدي لأنعم بالحياة، وأنت لـم تدري أنك كنت الحيـاة، وفيت بالعهد وقصصت حكايتك علي كل العاشـقين فظنـوا بي السـوء، ولـم يصدق أحـد ما رويته، وتسـاءلوا من الذي يستطيع أن يهب الخلود للآخرين ويرحل، فقلت لهم أنه حبيبي.. انت..

(69)

الموت البطيء

لـم أكـن أدرك حينها أننى كنت أحمل نعشـى، فرغم هشاشـة ثوبك الـروزى الفضفـاض، إلا أننـى لـم احتمـل ذلك الثقـل الـذى عانيته.. تطايـرت أطرافه لتحجـب الرؤية عن أى مسـاحات للرحمة والطمأنينة وبشرت فى بأسوداد أيامى القادمة.. وبعد فترة ليست بالقصيرة أدركت أنهـا لم تكن شـجاعة، على الأرجـح كان عجزاً طوق عنقـى وأذهلتنى شدة المفاجأة.. وحاولت أن ابدو طبيعيا، فأقدمت علي فعل أشياء غير طبيعية، فكيف واتتني الشـجاعة والبلاهة أن أحمل فسـتان زفافك علي رجل آخر.

هل كنت أتخيل أنه يوم عرسـى، أم سـكرة الكارثـة أفقدتنى التركيز والتعبيـر عن حقيقـة مشـاعرى الثائرة الغاضبـة.. بدأت حـدود غربتي وانفصالـى عـن العالـم بالفـراق عنك، فلـم يكـن صداماً عابـرا يمكن تجـاوزه، تقلصـت اليـد الحانيـة التـي ربتت علـى كتفـى وازاحت عن كاهلـى احباطاتي وانكسـاراتي، وجف النهر الـذى كان يروينى واندثر الحضـن الـذى كان يؤوينى، فصرت بـلا احتماء، متجردا مـن أى زاد، وحيدا فى بلاد جليدية اجهل لغتها وطرق التدفئة بها.

أحيانـا كنت أهـرول لخوض تجـارب جديدة علها تطفـئ البراكين المتقـدة داخـل صدرى، لكنهـا كانت تزيدنـى إلتهابا وأشـتعالا وتعلقا بـك، وعندمـا كنت افكر فـي أن أصب عليك جام غضبي، كنت افشـل فـي ذلك.. فكيف أغضب منـك؟ وهل يمكن للشـمس أن تغضب من السماء، حتي لو حدث ذلك فمن يستوعب قيظها وبأسها.. أصبحتي يا حبيبتي خارج سـياق العتاب، فأنا لا أملك سـوى استقبال إشاراتك كى أنفذها برضاء كامل وامتنان رغم ندرتها وشحها، فأى شيء يصدر منك واجب التنفيذ، وما عسـانى أفعل غير ذلك، فمسألة الغضب منك ترف لا أملكـه ولم تطمح فيـه قدراتي المتواضعة، لأن حبك كان يسـتهويها أكثـر.. وأحيانا أخري كنت ألجأ إلي سـندرة ذكرياتي المهملة منذ زمن طويـل، واسـتعيد أيامـى المهاجرة معك بحثـا عن دفء افتقـده.. يعيد للألـوان زهوتهـا وبريقها.. ويطـوق عنقى بعناقيد الفل حتي اسـكر من النشـوة فأنام ليلة واحدة حتي ولو مخدوعا، وعندما يحل الصباح أكون قد بدأت دورة العذاب مرة أخري.

هـل تذكريـن أول يـوم ذهبنـا للمدرسـة معـا، عندمـا قبضـت يدي الصغيـرة علي يـدك الرقيقة، كنت اخـاف عليك من النـاس، احاول أن امنـع عنك الاذي، ولو كنت املـك لمنعت نظراتهم المصوبة إليك، لن ابالـغ عندما اقول أننـي ربيتك وعلمتك الاشـياء الأولي، لكني أدركت بعـد هذا العمر أنني كنت حارسـا أمينا لك، احافـظ عليك وأدافع عنك حتـي يأتـي رجلا آخـر ليأخـذك واحمل له فسـتان زفافك، فهـل رأيتي رجل بهذه المواصفات المتخلفة، عشت معك كل هذه السنوات أسلي ايامـك وأطيب عنها بالحكايـات والنوادر، واقضـي حاجاتك الكثيرة، اقتسـم معك مصروفـي القليل، وطعامي والعابـي، تعودت على عنادك

وقسـوتك، وادمنتهـا مع الوقـت، ولـم أعبأ بمـا كانوا يـردده الحاقدون الصغار من أننى أصبحت تابعا ذليلا لأهوائك، ارضخ لرغباتك الماجنة وأتباهى بها، مضحيا بكرامتي وكبريائى، وهل للكرامة أو للكبرياء قيمة دونـك، انفرط عقـد الأيام، وتبعثـرت الأمانى، ولـم يعد لـى غير البكاء المتواصـل والنحيب الخفيض، على تلك الأيـام التي ولـت ولن تعود، ورغم كل ذلك، ورغـم ما أعانيه من قسوة الفراق، تظل المعاناة هى آخر خيوط الرحمة التي تربطنى بك.. سـأواصل الموت البطئ فهو بالنسـبة لى الحياة الأبدية.

(70)

الحب وحده لا يكفي

ركضت الأيام وكأنها مهرة عفية اصيلة تعلن عن قدراتها في مزاد علني، وركضت أنت ورائها بما تبقي لك من أنفاس، في اصرار بالغ لملاحقتها مهما كلفك الأمر، وعندما كنت تأخذ هدنة للراحة، كنت تستدعي الذكريات القديمة فتجتاح صدرك وتزود بالوقود لتسترد بعض من العافية لمواصلة العدو برغبة جامعة في الملاحقة، حتي تستطيع أن تظرح سؤالك الوحيد والأخير، لماذا تركتك وحيدا، وارتبطت بغيرك، ونسيت كل السنوات والأيام التي تقاسمنا فيها الافراح والاتراح.

ورغم ادراكك الكامل بأنك تسير في اتجاه الهاوية ظللت تلقي السؤال بشكل متواصل، ظنا منك أن الاجابة ستدمل آلامك وتطفيء النار المشتعلة داخلك، لكن الواقع تغير وتبدلت ملامحه، وبات سؤالك افتراضيا وعبثيا يحاول أن ينبش في الماضي لاستخراج معاناة أخري، لكنني علي اية حال سأجيبك عن استفسارك.

لست في حاجة إلي كلمات استهلالية أو عبارات بلاستيكية شائعة وهشة لأبرئ نفسي من تهم لم اقترفها، لن أنكر أنك احببتني بكل جوانحك، ولبيت كل طلباتي ورغباتي التي طلبتها والتي لم يسعفني

عطاءك المســتمر من التفكير فيها أو الشعور بأنها تنقصني، وأصارحك بأنني استسـهلت الحيـاة وتمتعت بها، وانك كنت السـبب في ذلك بلا شك.

الحـب وحده لا يكفي يـا عزيزي.. قد تبدو جملة سـخيفة لا يروق حالـم مثلك سـماعها، خصوصا إذا كان يتذكر كل لحظات عمره بكامل تفاصيلها، ويقدر المشـاعر الإنسـانية ويحترمها لحـد العبادة، وانك لـم تحاول أن تأخذ شـيئا لنفسـك رغـم أن الحياة تمضي بسـرعة وتتركنا، وكنت أيضا مخلصـا ومازلت لقناعاتك ومبادئك التي آمنت بها، وهذه حقيقـة لا أمن عليك بها، وحق اصيل يجـب الاعتراف به واحترامه في الوقت ذاته، ولكن الحب وحده لا يكفي عندما يكون من طرف واحد، سـاعدتني كثيـرا جدا، ولكنـك أحببتني قليلا، لا تغضـب من صراحتي فهنـاك فـروق ما بين الحب والعـون، كما أنني لـم ابادلك العشـق، ربما أكون تعودت عليك، وشـعرت بأن وجودك في حياتي شيئا مهما، وهي أمـور تحـدث عندما نرتبط بالآخرين، نصحو علـي وجوههم، وقبل أن ننام نلقي عليهم تحية المسـاء، ندخل المدرسـة سـويا، ونشارك بعضنا البعض في العابنا ولهونا، نأكل سويا ونشرب سويا، نتشاجر ونتصالح، نضحـك ونبكـي، فلم يكن هناك غيـرك، ولـم تكن هنـاك غيري، لذلك جاء الارتباط ضرورة حياتية.

أثنـاء كل ذلـك لم يكن لعقلى أى دور، كنت منسـاقة إليك، لم أفكر فى مشـروعية ذلك من عدمه، أو أن العقل يستوعب ما يحدث حولي.. فـلا تفتـرض أشـياء عقلية فى حالـة غير منطقيـة، فلا تقحـم الحب فى حكاياتنـا.. عندمـا اسـتلمت خطابك تملكنى شـعور بالخجل لا أدرى سببه، ووجدت نفسى مطالبة بتبرير أشياء كثيرة لم تكن فى حساباتي..

للحب أشكال أخري وتفاصيل أخري، ربما ابسطها أن نصرح لبعضنا البعض بهذا الحب، ولكنك لم تفعل وسجنت أحلامك وراء جدار خشبي زحف الغبار عليه من جانب، لا تحزن من كلماتي، فلم أعدك بشيء، ولم اقطع علي نفسي عهود، يكفيك أن لديك قصة ترويها أنت فيها البطل الذي ضحي بحياته من اجل امرأة تافهة مثلي، لم تقدر كل ما قدم لها، رغم أنها لم تطلبه!!!

(71)

أغنية قديمة

تتسلل تلك الأغنية القديمة التي مازال صداها يتردد فى دقات قلوبنا.. تعيد اكتشاف الأمكنة المفقودة التي تغيرت ملامحها أو كادت أن تتلاشي، والكلمات التي كنا نرسم بها حكاية لم تتم، ولم تكتب لها نهاية بعد.. نحاول أن نوقف اللحظات والساعات كى لا تمضى وتصير مع الأيام ذكرى نرتشف رائحتها ونتحسر على ما فات ونعيش علي أنغامها، فنشق الزمن شقا، وندخل في قلب الأيام لنستعيد لحظة واحدة من هذا الزمن الجميل، لم تكن حالتنا استثناء، بل كانت امتدادا لحالات أخرى مروية بماء الورد ومعطرة بالياسمين.. لم تمهلنا الظروف لإكمالها، وعندما رضينا بهذا الرحيل المبكر، كانت تأتينا في ساعات المغارب لتدخلنا عنوة إلي عالم الذكريات.

يتسع المدى فى الليل الغميق لتبدأ مآسينا مع التفكير السلبى الذى يواجهنا باحباطاتنا النهارية وقلة حيلتنا وشح حاجتنا وندرة الحياة.. فى الليل تبدأ عملية جلد الذات، ولا نمل من العبث.. ومع شروق الشمس تتوالى كئوس النسيان والتخمة، وما بين اليقظة والغيبوبة يكتمل السقوط لنعاود من جديد ترتيل الشطر الأخير من الأغنية المستحيلة..

أدركت الآن أن الطبيعة كانت ومازالت ضد سعادتنا، وأن النهاية سوف تكون ارحم من تلك العذابات التي نئن من شراستها كل لحظة..

فدغينا نسطر آخر السطور بارادتنا وقناعتنا أو هكذا نمنى أنفسنا بانتصارات مزيفة فى زمن ضن بالفتات، فربما يكون المكسب الوحيد وربما يكون الأخير.. يؤرقنى كثيرا أن تكون مسارات السير معاكسة بقدر يصعب فيه التلاقى، ورغم كل ما يطرأ على مخيلتي من أفكار يائسة وبائسة، تقتحمني البشرة برحابة لقاء عابر، تنقصه الكلمات والحكايات، لكنه يكفى لقلب تجرع من الوحدة والقسوة ما فاض به.

مصادفة أخرى عابرة قد تحمل فى طياتها حلا سحريا لحالتي المزرية، وتطيب تلك الجراح الغائرة، فلم أعد قادراً على تحملها، وأعشم نفسى دائما بلقاء تاريخى يفك تلك الخيوط المتشابكة والمتشعبة، ورغم مشروعية الحلم واستحالة تحقيقه لازلت انتظر. وما عساى غير ذلك، وأنا لا أملك من الأمر شيئا..قدر لى أن ألعب دورى وحدى دون ملقن أو أدوات.. المسرح كبير جدا بحجم وحدتي، يتسع لآلاف الشخوص؛ لكنى وحدى، هكذا فضلت.. الفراغ من حولى موحش ويبدو مخيفا ، واخشي ان تكون ذكري الأغاني القديمة جسرا اراديا ممهدا واختياريا لحتفي، فهل هناك فرصة أخري لسماع أغاني أخري غير تلك التي كانت. أسافر داخلك أركض، ألهث.. أجرى.. أبكي.. أرقص.. أصير كالأطفال، وعندما يحل بى التعب، لا أجد غير عينيك استريح فيها وهي تردد علي نغمات الماضي.. ومثلما كانت هناك أغنية للبداية أتعشم بأن تكون هناك أخري للنهاية، أرددها في ايامي الأخيرة، وتكون عوضا عن الحرمان.

ينتهي العمر أو ينتصف، ومازالت الاحلام المؤجلة تنتظر على المحطات النائية وصول قطار العودة.. لكن المسافات الطويلة البعيدة تحطم كل الاشرعة وتستبيح العواصف العتاد والصبر.. لم يبق سوى الوحشة وسطوة الايام التي تقف عائقا يحجب آخر فرص العودة والتلاقي.. كل قصة حب تنشأ بين اثنين تختزن داخلها أغنية تحكي حكاياتها، لذا تظل الذكريات مرتبطة دائما بالأغاني، فالأغنية تمنح قصص الحب الخلود والعنفوان.

(72)

الطغاه الجدد

عذبتني كلماتك، فلما كلفت نفسك كل هذا العناء، انت رجل وفي وصادق ومحترم، ما كان عليك أن تخط كل هذه الويلات، فأنا ملكك ويمكنك استدعائي في اي وقت تشاء، لقد منحتني قصة جميلة وذكريات راقية، عاملتني فيها كأمرأة وحافظت علي كبرياء انوثتي، هذه اشياء بديهية أمتن لها كثيرا، واسعدتني ومازالت، ولا انكرها ابدا.. ربما يكون الزمن تغير وتشوهت معالمه، وصارت الشوارع الخالية التي كنا نقطعها لم تعد كما كانت وانتشر بها الباعة الجائلين والمتطفلين، وبائعة الورد التي كانت تختفي وراء أكوام الزهور حتي لا تجرح المحبين بنظراتها العفوية أصبحت أكثر غلظة والحاحا. لكنك لم تتغير، فأنت رجل رائع ومثالي، تعيش في عصر ليس عصرك.

انتهي زمن الأغاني والشعر يا حبيبي، وبدأ عصر الإنترنت والموبايل يغزو العواطف ويشيع الفوضي والاباحية، ملتهما في استخفاف كل المعاني الجميلة، ويسن كل يوم قواعد جديدة وغريبة وسخيفة للمحبين، تستوجب أن يكون العاشق بلا قلب، بلا معني، بلا وعي، أنت رجل من زمن، كانوا العشاق يتباهون فيه بما يحفظوه من شعر

ومـا يقرأوه من أدب، أما الآن فالعاشـق حتي يخترق قلـب حبيبته عليه أن يكون قليل الادب، وأن يحفظ كثير من النكات الجنسية والتهكمية، وأن تكون له القدرة علي السـخرية من اي شـيء وكل شـيء، فعشـاق هذا الزمن يتباهون بملابسـهم الداخلية ويظهروها بألوانها الفاقعة حتي يستيطعون بها استمالة قلوب العاشقات.

ليسـت هناك أحلام مؤجلة، فكل الأحـلام والامنيات تتحقق وأكثر منهـا، لـم تعد القبلة ثـورة عاطفية تفتت قلوب العاشـقين، عندما كانت تتلامس أيدينا بطريق الخطأ كانت تنتابنا حالة من فقدان الاتزان ويزداد ارتباكنا وتحمر وجوهنا وتعجز اقدامنا عن السير، وربما نصاب بالحمي والهذيـان، الأمر تطور كثيرا، واصبحت هناك اشـياء مسـتحدثة أخجل من سـردها، أو التلميح عنها، ليس هناك عاشـق ينتظـر حبيبته ويحصي الثواني والدقائق لقدومها، فالعشـاق في هذا الزمان لا يفترقون إلا عند الذهاب إلي النوم فقط، كان كيوبيد هو آله حبنا ومازال، اما الآن أصبح الكمبيوتـر آلهـا جديدا يحرك كل شـيء من خـلال المفاتيـح الصماء، حتـي المشـاعر الراقيـة تحولت إلي أوامـر يمكن ادراتها عبـر الاجهزة الالكترونيـة، لـم يعد أحـد يهتم بالرسـائل الورقية، وتنميقهـا وتهذيبها بالفواصـل والنقـاط المنتشـرة، كانـت خطاباتـك الوقـورة وسـطورها المنظمة، وعباراتك المتساوية التي لم تخرج عن اطارها، هي كل زادي الذي افتخر به واصونه في مقلات العيون.

لا أحد يكتب رسائل الآن علي أوراق رائحتها جميلة، فكل الرسائل ضوئيـة علنيـة مكشـوفة ومفضوحـة للعامـة والخاصـة منشـورة علـي صفحـات الفيس بوك يلتهمهـا الداني والقاصي ويعلـق عليها بعبارات سـخيفة، ولا أحـد يغضـب، فـكل شـيء اصبح مشـاع ومختـرق، فهم

ليس لديهم وقت لكتابة حروف الكلام كاملة، واخترعوا لغة جديدة تختزل الحروف والمعاني لا يجيد قراءتها سواهم، فعشاق هذا الزمان يتكلمون طوال النهار والليل دون كلمة عشق واحدة.

لم تفلح مخططات الطغاه الجدد بكل ما لديهم من اساليب لمحو قصص الحب الجميلة، فبقاءك انت يعني أن للحياة وجه آخر مشرق وبديع، ستبقي أنت وستبقي معك كل الكلمات الجميلة والأغاني الملهمة التي سأظل اشدو بها، فلا تبتأس فمازالت اتنفس الهواء من رحيق كلماتك

(73)

يوم برتقالي

عشــت عمري معــك أحلم بيــوم برتقالي اللــون.. اســمع فيه صوتا للضحكة، واري ابتســامة تخرج من القلب فترتسم علي ملامحك دون تزييف، وتمنيت أن اقيم علاقة حميمة حقيقية تسمع فيها الأصوات غير المتفعلـة بدلا من هذا العـراك الكلابي الذي نمارســه كل يوم خميس، عندمـا تتحـول الأنوثـة علي يـدك إلـي فعل رجولـي خشـن يفتقد إلي الرومانسـية والنعومـة، خصوصا عندما تتبدي في الافـق روائح البصل والثوم الملوثة به ثيابك.

اصابتني عدوي الأيام الرمادية التي تسـكبينها في عينيك كل صباح، بعدمـا غـاب عنك سـحرك وتلقائيتـك وبـدوت مزعجة ثرثـارة، كثيرة الـكلام قليلـة الأفعـال وبطيئـة الحركـة، تتعاملين معي وكأنـي دجاجة مجمـدة تسـتطيعين اخراجهـا في أي وقـت والقائها في الماء السـاخن لالتهامها عندما يشـتد جوعك، الحياة قصيرة جدا، وليس من العدل أن نستهلكها في الجدل البيزنطي الذي لا طائل منه سوي الرغبة في اظهار احدانا متلبسـا بالتقصير، عشـت الحياة اعشـق ألوانها الصريحة الفاقعة

التـي لا تقبل الزيف أو التلون، وسـعيت قدر جهـدي ألا أكون روتينيا، أطلق علي الأشياء اسماءها الحقيقية.

ليـس هنـاك ضمانات لأي شـيء، حتي العشـق إن لـم يجـدد هواءه وتجري له عمليات صيانة تقيه من الكوارث يصاب بالعطب والتوقف، لابد من عمليات شحن مستمرة حتي يحافظ علي لياقته ورونقه، لديك اصرار مميت لفتح الموضوعات التي تثير اعصابي، ودفن كل الأشـياء التـي تبعث البهجـة والمتعة، انت امرأة تعاني مـن الازدواجية وانفصام الشـخصية، في البيـت تفتحين صوتك علي مصراعيه وتكسـو الفاظك بتطجينـه تحـرض علـي الانتحـار، بينمـا عندما يـدق جـرس التليفون تتحوليـن إلي امرأة أخري تحمل صـوت ناعم متكلف، تنطق الكلمات بلكنة غريبة ومفتعلة.

اخطائي مشـاعة تنقل في بث مباشر وحصري للقريب والبعيد ويتم التشهير المتعمد لها مع سبق الاصرار والترصد، أما حسناتي فهي عبادة سرية لا يعلم بها أحد لغرض في نفسك، وانت دائما لا تخطأين ويجب حسـن الظن بكل ما تفعليه، وأنا لا اصيب ابدا وسـوء الظن يلتصق بكل ما أفعله، اخطائي كبائر كبيرة لا تغتفر، وعندما تفعلين مثلها فهي صغائر لا يجب الالتفات إليها.

تتزاحـم الكلمـات المخنوقـة داخلـي وتحاول الخروج من شـرنقة الصمـت التـي تكتـوي فيهـا.. تتـأوه وتتوجـع، تطلـق صرخاتهـا يمينا ويسـارا.. تحـاول ان تنطلـق خارج سـجنى الابدي.. تسـعى لان تقفز من فوق أسـوارك الشـائكة لتنفجر في وجهك لتعلـن العصيان.. تتمرد علـى حالتي المزرية التي صنعها عنادك وغباءك وقلة حيلتك وتكشـف

الخدعة التي اغريتني بها حتي وقعت فريسـة سهلة فى براثنك.. لتلتهما انيابك المتوحشة..

تحرصين علي أداء المناسـبات الاجتماعيـة ليس رغبة التواصل مع الآخريـن، ولكن بدافـع عرض فسـاتينك الجديدة التـي تكبلين حياتي بأثمانهـا الباهظة واغاظة الآخريات، حاولـت كثيرا أن اضبط انفعالاتي حتـي لا اضطـر لترديـد بعض الكلمـات التي تـؤذى مشـاعرك، لكنك للأسـف تفشـلين فى قـراءة وجهى، انـت امرأة بلا ملامـح نجحت في تشـويه حياتـي، وباعدت بيني وبيـن أي لحظة ملونة يمكـن أن تحدث علي المدي الطويل، وأصبح انتظار يوما برتقاليا وهما من الخيال.

(74)

امرأة رمادية

تريد أن تعيش يوما واحدا برتقاليا قبل أن يصل إليك قطار العمر إلي محطته الأخيرة!! وتريد امرأة تفهم طباعك وتستوعب طموحك، وتريد ان تنعم بليلة رومانسية دافئة علي أضواء الشموع، وتريد.. وتريد.. كل الرغبات تريدها انت، وتملكها أنت، وتحتكرها أنت، وتعبر عنها كذبا وافتراء، ولا يهم تلك البائسة الشاعثة الشريرة التي يجب عليها توفير وتحقيق كل هذه الرغبات وبالصورة التي ترضيها وترضي أنانيتك وصلفك، وكأنني خلقت في هذه الدنيا لأسمع وأنفذ ما تمليه علي ارادتك دون نقاش وبالإمكانات المتواضعة التي توفرها قدراتك الشحيحة، فهل هذا عدلا؟ أنت تحتاج إلي فانوس سحري وليس لأمرأة فقدت توهجها وإنسانيتها بمعاشرتك.

دعنا نفترض جدلا أنني نجحت فيما ذهبت إليه.. فقل لي ماذا ستمنحني أنت نظير كل هذه الخدمات، الرقة التي تفتقدها، ام العرفان بالجميل الذي تبخر وتلاشي مع اتهاماتك الكاذبة، أم دفء العلاقة والحميمية رغم انك تملك قلبا متجمدا ومشاعر معطلة، ليس من المعقول أن تكون كل السنوات التي عشناها سويا بلا انجاز أو ومضة

اشــراق مغلفــة بلحظــات من الصــدق!! وإن كانــت كذلــك، فالجريمة مشــتركة بيننــا وتلحق اذيــال الخيبة بك لأنك رجل فاشــل لا تحمل أي جاذبية أو بريق.

اعتــرف بأننــي تحولــت إلــي امــرأة رمادية عابســة بعدما يئســت من اصلاحك وفشــلت فــي تحقيق أي نشــوة أو انصهار مع رجــل برتقالي فشــل فــي اصابتــي بعدوي الإحمــرار، وأعتــرف أنني كنــت ألجأ لفعل أشياء عبثية لا طائل منها سوي الهروب والتخفي حتي لا يصلني شعور بأننــي امــرأة مهملة لا تثير فضــول حبيبها رغم ما كنــت أتكبده من عناء ومشــقة لارضاءك وتلبية طلباتك التي لا تنتهي ولا اتلقي عنها شــكر او أمتنان، الغريب أنني لــم أتغير ولــم ابدل عاداتي، فما كنت أفعله بالأمس، احرص عليه اليوم واكثر قليلا، تســريحة شــعري التــي كانت تروق لك اصبحــت تمقتهــا، رائحــة عطــري التــي كنت تحلــق في شــذاها بدأت تصيبــك بالحساســية والاختنــاق، ملابســي، مكياجي، طريقــة كلامي، لفتاتــي، همســاتي، بدت وكأنها أشــباح شــريرة تطــاردك وتقلق نومك وتستبيح أيامك وتشدد الخناق عليها. فما الذي اقترفته؟

شيئا غريبا آخر استوقفني ولم أجد له تفسير، تلك النساء اللائي كنت تصــب عليهن جام غضبك وســخطك أصبحن ملهمــات بارعات تريد أن أحــذو حذوهن في كل ما يصدر عنهــن، وتحولت عيوبهن إلي مزايا بين ليلة وضحاها، الأمر يحتاج لشــرح وتفسير بدلا من اطلاق عبارات جامــدة، ربما تعيــش أزمة منتصف العمر وتعاني من ويلات شــيخوخة بدأت تزحف علي شــبابك النضر الذي كنت تتباهي به وجعلتك تشــعر بأنــك أصبحت غير ملهم، تلك هي ازمتك ليس لي دخل، فلم أشــعرك يومــا بنواقصك الكثيــرة التي بدأت تتوالي في الســنوات الأخيرة والتي

افقدت كثير من هدوئك واتزانك، كنت دائما ومازالت أحاول أن اخفي تلـك الثقـوب التي راحت تتكاثـر وتنمو، واقنع نفسـي بأنه من المحال دوام الحال.

أخيـرا، لـو أردت أن تعيش يوما برتقاليـا، فعليك أولا أن تكون أنت برتقاليـا، وأن تكتسـي ملامحـك بالتفـاؤل والبهجة.. حتـي إذا ما جاء اليوم البرتقالي وجدك ملائما لأن تمنح شرف معايشته، أما تلك الطباع الرماديـة التـي تتحلـي بها فهـي تحمل داخلها أسـباب ملحـة للذهاب لطبيب نفسي.

(75)

المتوهجة

هنــاك قصــة وحيــدة تمنيــت أن أعيشــها.. أنتــي كنت بطلتهــا، رغم اختـلاف الطبـاع والأهـواء تبدو هناك مسـاحة عبقرية نسـتطيع أن نبني عليها أحلام كثيرة، لو كانت منحتنا اياها أقدارنا، لم يكن فرق السن بيننا يمثل عائقا لإتمام تلك الحكاية الجميلة، فأنت في النهاية كائن متكامل، يفهـم طبيعـة الأشـياء ولديك قدرات فائقـة وخيالية علـي التواصل مع الآخرين وفهم شخصياتهم كل حسب درجات قبوله ورفضه لما يحيط به، تملكين قلب في نعومة الياسمين ونصاعة اللؤلؤ.

منـذ سـنوات بعيدة بعيدة جـدا، بينما كنت مازلت طفلة تشـب علي الحياة بطموحات فاقت عمرها، وتفوقت علي كل اقرانها وجيلها، كنت أنـا في مرحلة نضوج تمنعني من اجتياز حدود بدت وكأنها محرمة، في ذلـك الوقت أتذكر أنني رددت عليك عبـارة مازلت أذكرها «انت حب يتجدد عند كل لقاء» فقد كانت عيناكي المتوهجة تحرضني علي البوح والاعتـراف.. لكن الخجـل وأرث طويل من العـادات والتقاليد منعني مـن أردد عليـك ما كان يجـول بخاطري وما يختبـئ داخل صدري من

مشاعر، أرقي من الحب وأنقي من العشق.. وأسمي من أن تطلق عليها علاقة عاطفية بين رجل وامرأة.

تمر الأيام والسنوات ولا نلتقي، وعندما يأتي لقاء عابر في مناسبة اجتماعية تزدحم بالغرباء ، يتكرر الوهج الصارخ الذي ينطلق من عيونك ليسكب توقده في قلبي المتعب والمتخاذل، فرقت بيننا السبل يمينا وشمالا.. لكن بقيت قصة حبنا التي اختزنت في الضلوع تفتت العظام وتنخر فيها، وكنا نخشي أن نفصح عنها حتي لأنفسنا.

تقول الكلمة المأثورة أن كل رجل يحتاج إلي امرأة تقف خلفه وتدفعه إلي النجاح والتميز وتحقيق طموحاته، أنت الوحيدة في هذا العالم التي تحتاجين فيها إلي رجل يقف خلفك يدفعك لتحتلي مكانتك التي تليق بك، فطلتك وكاريزميتك وقدراتك الهائلة لا تحتاج إلي عين خبير ليكتشفها فهي واضحة وضوح الشمس الساطعة في السماء التي لا يحد من أشعتها شيئا، لذلك ستظل مأساتك هي وجود رجل يحمل مواصفات قديس ليعيد اكتشافها.

لم يكن الامر هينا، لكني جازفت وفتشت فى ذاكرتي عن طرق جديدة لأفك قيود حروفي، وأشعل الحريق فى ابجديتي المطوقة بالسلاسل الهلامية والتي استباحت عمري.. وسخرت من كل أحاسيسي.. واتهمتنى بأننى رضيت على نفسى العبودية والذل، فكيف اتخلي عن من وصفتها الأسطورة بأنها «صبية رشيقة القد، قاعدة النهد، ذات حسن وجمال وقد واعتدال، وجبين كغرة الهلال وعيون كعيون الغزلان، وحواجب كهلال رمضان وخدود مثل شقائق النعمان وفم كخاتم سليمان، ووجه كالبدر في الاشراق ونهدين كرمانتين باتفاق وبطن مطوي تحت الثياب».

قـد يبدو من سـطورى أننى أتحلى بالشـجاعة، وهذا ليس صحيحا، فلـم يعـد هنـاك شـيئا آخـر، ولـم استطع أبـدل دموعى بضحـكات.. وأحباطاتـي بانتصـارات.. وأن أرسـم علـى صفحـة ميـاه نهـرى أمـلا للبائسين..وجسـرا ليتواصل عليه غيري من المعذبين، علمنى حبك أن أموت واقفا شـامخا.. لا أخفض رأسـى حتي وأن اعتراها السـقم، ولا اتنـازل عن كبريائى، حتي لو تحطمت جداره الواقية، ان آخر آمالي هي دفعك للامام حتي تحتلين مكانا أنتي جديرة به حتي ولو علي اشلائي.

(76)

قديس

لمـاذا ابحث عـن قديس وأنت موجود، فأنت القـادر علي فك قيود إبداعـي ومحو طلاسـم لغتي، ودفعي نحـو الخلود، مازلـت إمكاناتي معطلـة لـم يسـتطع أحد اكتشـافها غيـرك، فأنـت الوحيد من استشـفها وأدرك أبعادهـا، تتهاوي جبال الصبر، تركض أيامي إليك مهرولة فرحة بشوشـة.. وكأنهـا طفل يلقى بنفسـه فى احضـان أمه.. لتعلن أسـرارى أمامـك دون خجـل.. وتخبرك باننى عاشـقة سـهرت الليـل وأحصت النجوم في انتظارك الطويل، تأخرت كثيرا في كشف احاسيسك الرائعة، ولكـن مازال لدينا وقتا كافيا، ليس لدفعـي إلي الصفوف الاولي، وأنما لنقف معا نرتشف الحياة ونسكر من لذتها.

لـم أخطط التسـلل إليك، فأنـت لم تبرحنـي قط، ولم يكـن بذهنى أن أتجـاوز أى حـدود معـك، ولو أن ذلك لم يغير من طبيعة احساسـى تجاهـك.. ودون أن أدرى وفى لحظـة اعجازية بدأت أراقبك.. اعترف أننى عشقت النظر إليك، حتي حرضتنى عينيك على الإبحار بها.. هناك سـطور وكلمات لـم تكتبهـا قرأتها في ضحكاتك الطفولية.. لسـت فى

حاجة لاختراع كذب، أحببتك من أول طلة، وكنت أعشم نفسي بأنك سوف تكتشفني بسهولة وتفضح صمودي المصطنع.

كان يجب أن أعرفك منذ زمن طويل كعاشق، تمنيت أن نبني علاقتنا بتلك العفة والبراءة التي تملأ قلبك، أما المسمى فلم يكن يشغل بالي.. أحبك بشكل يحفظ كبرياءك.. ولا يطول من وقارك.. وأشعر أنك تبادلني الحب وتتواصل مع همساتي التي تسافر إليك ليلا.. لكنه حب من نوع آخر.. ليست به رغبة.. فأنت الشاهد الوحيد علي طفولتي ونضوجي.

نعم أنت حبيبي.. أنفاسك، عباراتك، الجمل الساحرة التي تصفني بها.. لا تدع جداراً تتواري خلفه، تفضحك وتكشف عن فيضانات حبك، ولا تمنحك فرصاً للهروب من أقدارك وأقداري، تخيلت أن فصول العشق انتهت وذهبت بعيدة في بلاد نائية لا سبيل للوصول إليها، فطبيعة علاقاتنا فرضت علينا شروط ظالمة، جعلتنا نرضخ لما يحيط حولنا من أعراف وتقاليد منعتنا من البوح والاعتراف. ورغم كل ذلك فإن ما تبقى من زمن يكفي.. فأنت القادر علي ادخالي أزمنة ألف ليلة وليلة حيث الفتنة والجمال والحكمة والخيال والحكايات الجميلة في بلاد الخيرات والثمار، الزاخرة بالنعم والنفائس، عندما يلم الليل صقيعه البارد ليبتلعه فجر حالم مؤذنا بميلاد صباح جديد سأكون أنا في حضرة عشقك المبلل بماء الورد ورائحة النعناع والعنبر.

كنت اتخيل أنني سوف أعيش على الذكرى، لكنك حبك فاجئني بما كان فوق قدراتي وأحلامي وآمالي، وأنعم على ببدايات الحياة من جديد. كل تلك القدرات التي تكلمت عنها، استمديتها منك، ودونك ليست ليه طلة أو كاريزما.. عيني تفضحني وتجهر بكل الأشياء،

أحبك.. أحبك.. سـوف أطلقها فى وجهك دون استئذان.. ولن أخجل منهـا.. وأرجو ألا تخجل منهـا أنت، لقد علمنى حبـك أن أكون فطرية وبديهيـة، ماذا تفيـد الطريقة المثلـى، أو غير المثلى، فعشـقك الحقيقة الوحيدة فى حياتي.. ولا يعنيني أن تكون قديسـا أو عربيدا، فمعك تبدأ حكايتـي الجميلة وقصتي التي لن تغرب شمسـها ابدا، فيكفي ما فات، لن افرط في اللحظات القادمة، فأنت من الآن ملك لي، وأنا ملكك، فلا تهمني تقاليد أو أعراف، تكفيني أنفاسـك الممتدة.عبر حنجرتي فهي ما تمدني بالحياة.



حكايات العشاق

lovers stories

لكل منا قصة، اكتملت فصولها، أو شاء القدر ألا تكتمل، سعيدة كانت أم تعيسة، تحاول هذه الحكايات أن ترصدها بأمانة وموضوعية وبلسان أبطالها دون افتئات أو مبالغة، وأظن أنني لم أستطع رصد كل الحالات، فهناك ما كان جديرا بالحكي، ولم تسعفني الظروف أو الابطال الحقيقيين لسرده، لكني راعيت أن أسطر تجارب ما توافر لدي ممن تذوقوا العسل أو تجرعوا المرارة كل حسب مقتضيات حكايته.

ورغم أن الكلمات أحيانا تساعدنا علي عودة الايام لذاكرتها الأولي، يظل الشعور باللحظة الفائتة واستدعائها، غاية صعبة المنال، فما فات قد فات.

الغريب أن القصص التي لم تكتب لها نهايات سعيدة ظلت هي الأروج والأشهر علي مر الزمان، وتناقلتها الألسن بكث[illegible] في بعض الأحيان، إلا أن ذلك لم ينفي أن هناك من أح[illegible] وقاتلوا من أجله فنعموا به.

تصميم الغلاف: إيمان صلاح






ISBN 978-977-6451-39-1
9789776451391

التوزيع
المجموعة الدولية للنشر والتوزيع